نداء

دراسات أدرك رمضان

د. عبد الملك القاسم

دار القاسم

٤٠ دَرْسًا

لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ

عبد الملك القاسم

دار القاسم للنشر
الرياض : ١١٤٤٢ ـ ص . ب ٦٣٧٣
ت : ٤٧٧٥٣١١ ـ فاكس : ٤٧٧٤٤٣٢

المقدمة

الحمد لله الذي بلَّغنا هذا الشهر العظيم، وأدعوه عز وجل كما بلغنا إياه أن يُعيننا على حُسن صيامه وقيامه، وأن يتجاوز عن تقصيرنا وزللنا، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فهذه أربعون درساً كتبتها للأخ المسلم. صدَّرتها بحمد الله عز وجل وختمتها بالدعاء؛ لتكون واحة إيمانية ينهل من معينها في مسجده وبيته، وانتقيت أموراً نحن في حاجة إليها، وأعرضت عن كثير من أحكام الصيام لشيوعها وكثرة ما كُتب عنها.. وليس الأساس هو زيادة معلومات الناس الفقهية والتعبدية، بل الهدف دعوة الناس إلى تطبيق ما يعلمون، وتحريك هممهم وعواطفهم وعقولهم وقلوبهم نحو ذلك، وقد زاد عدد الدروس عن أيام الشهر المبارك ليكون فيها تنوع في المواضيع، وسهولة عند الاختيار..

ومما دعا إلى جمعها وتنويع مواضيعها: خروج كثير من المُقصرين إلى المساجد في هذه الأيام المباركة، وتفتُّح أنفسهم لسماع الحق وقبول الكلمة الطيبة، ووجَّهته لعامة الناس حسب الحاجة أولاً، وما يناسب المجتمع إجمالاً.

كما ورغبت حين إعداد هذا الكتاب أن أُعين الإمام وأفرِّغه لمراجعة حفظه، والقيام بالأعمال الدعوية الأخرى، حتى تثمر الجهود وتكتمل الخُطى. فإن على الإمام ـ وفقه الله ـ أعباء كثيرة ومطلوب منه بذل الجهد (أي غاية الجهد) في خدمة الإسلام، ولا نرضى منه بذل بعض الجهد

فحسب، بل لابد أن يستنفد الوسع في ذلك.

وإنها لمناسبة عظيمة أن يجتمع المصلُّون في المسجد، والإخوة في المنزل، والأسرة في دوحتهم الصغيرة، على هذه الدروس التي تُحيي الهمم، وتقوي العزائم، وتنير البصائر..

أدعو الله أن يبارك في قليلها، وأن ينفع بها، إنه سميع مجيب.

عبدالملك بن محمد بن عبدالرحمن القاسم

رسالة لإمام المسجد

الحمد لله الذي يسَّر أمر الطاعة وجعلك إماماً للناس وقدوة، ولعل في هذه الأيام المباركة يكون التواصي أوثق والتناصح أوجب، ولعلمي سعة صدر مَنْ حمل القرآن، أطرح عليك أموراً لا تغيب عن بالك، منها:

أولاً: عليك عبء كبير في هذا الشهر والذي قبله من استعدادٍ وتجهيز وتحضير، ومراجعة حفظ.. فأدعو الله عز وجل أن يعينك، وأن يجعل ذلك في موازين حسناتك.

ثانياً: من التعاون على البر والتقوى ساهمتُ بهذا الكتاب المتواضع بين يديك وقسَّمته حسب ما ترى:

١- الثلاثون درساً الأولى جعلتها موزَّعة بين مواضيع متنوعة في العقيدة والعبادة والأخلاق.

٢- ما كان مرتبطاً منها بيوم مُعيَّنٍ جعلته في يومه، مثل: معركة بدر في الدرس السابع عشر، وكذلك درس زكاة الفطر وأحكام العيد في ليلة التاسع والعشرين وغيرها.

٣- ليس بالضرورة أن يكون ترتيبي متوافقاً مع ما تراه من واقع جماعة المسجد، فلك أن تُقدم وتؤخر ما شئت. وقد وضعتُ في الفهرس عنواناً لكل موضوع وملخصاً لمحتواه، حتى تختار ما تراه مناسباً.

٤- أضفتُ عشرةَ دروس زيادة عن أيام الشهر المبارك، وكان الهدف من ذلك:

(أ) بعض الأئمة ـ حفظهم الله ـ يقرؤون على جماعة المسجد في وقتين، أو ثلاثة أوقات من كل يوم، فيكون بين أيديهم بعض الدروس الإضافية التي تعينهم على ذلك.

(ب) هناك من يختار من المواضيع ما يناسب حال الجماعة، فكان التنوع أمراً مطلوباً.

(ج) جعلت ثلاثة دروس للنساء، تُقرأ في ثلاثة مجالس، أو أكثر، حسب الحاجة ورغبة الإمام. وهذه خاصة بالمسجد الذي يوجد فيه مصلى للنساء.

٥- تنوع المواضيع مدعاة إلى القراءة منها في غير أيام رمضان والأخذ منها ـ لمن أراد ـ في الخطب والمحاضرات لسهولة مادتها واستدلالها بالآية والحديث.

ثالثاً: هناك بعض الأعمال التي تكون ثمرتها في رمضان أكثر؛ ومنها:

١- هدايا رمضان: فالهدية مدخل للقلوب، وطريق للدعوة، ووسيلة ميسرة سهلة، فاختر ما يناسب أهل حيِّك ممن يشهدون الصلاة، وكذلك لمن يتخلفون عنها، واطرح مسابقة أسرية بها جوائز قيمة، وخُصَّ كل بيت بمجموعة من كتب العلماء والدعاة ومحاضراتهم فإن في ذلك خيراً عظيماً.

٢- مناصحة المقصرين وزيارتهم في بيوتهم، والاستفادة من دخول الشهر، لوصل ماتصرَّم من العلاقات وتقويتها.

٣- دعوة العلماء والدعاة لزيارة المسجد لإلقاء الدروس والمواعظ.

٤- احرص ـ أجزل الله مثوبتك ـ على دخول الكتاب والشريط الإسلامي النافع لكل بيت، واستشعر عظم الأجر وكثرة الإقبال وحسن القبول.

٥- يحسُن أن يُقرأ على جماعة المسجد ما يناسبهم من الكتب، ومن تلك الكتب التي يحتاجها كثير من الناس: الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ، وكذلك الدروس المهمة لعامة الأمة، وصفة

صلاة النبي ﷺ للشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ وفي السيرة: مختصر السيرة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ وهو مطبوع حديثاً، وكذلك قراءة في أحد التفاسير الموثوقة: كتفسير الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله ـ ، وكتاب الشيخ محمد المنجد: محرمات استهان بها كثير من الناس ـ ومن أراد أن يقرأ في سيرة الصحابة والتابعين فهناك أجزاء منها للدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا ـ رحمه الله ـ وكذلك صور من سير الصحابة والصحابيات للشيخ عبدالحميد السحيباني ـ وفقه الله ـ.

٦- الاستفادة من حضور النساء، والقيام بتوزيع النشرات والكتب والمطويات عليهن، وكذلك توجيه كلمة لهن من كتاب، أو إلقاء كلمة بعد التحضير الجيد للموضوع.

٧- إقامة موائد إفطار للإخوة الوافدين، ولا تنس أن تأتي ببعض الكتب للجاليات الموجودة، واجعل لهم مع غذاء البدن غذاء للروح، والأمر ميسور وسهل، فمكاتب الجاليات تسعد بأن تُمدك بالكتب والمطويات، وبالدعاة، بجميع اللغات المتيسرة.

٨- لوحة المسجد لها تأثير عجيب، ورأيت بأم عيني أناساً يقفون دقائق طويلة لقراءتها، فاحرص ـ بارك الله فيك ـ على تنوع مادتها وثرائها وفائدتها، وتجديدها بين الحين والآخر.

٩- لا يتوقف نشاطك داخل المسجد فحسب، بل عليك بالمحلات التجارية التي بجوار مسجدك، قم بزيارتهم ومناصحتهم، وحثهم على تطبيق الشريعة، ووزع الهدايا والكتب عليهم، وادعهم للصلاة، وضع في أماكن الحلاقة وغيرها مجلات إسلامية لتقرأ في هذا الشهر بدلاً عن المجلات الموجودة لديهم.

١٠- عليك ببسط النفس، ولين الجانب، وبشاشة الوجه؛ فإن تلك

الأمور اليسيرة مفتاح للقلوب القاسية. وجرِّب وسترى.

١١- ضع مسابقة لأهل الحي تتنوع فيها الأسئلة وتكون الفائدة عامة للصغار والكبار رجالاً ونساء. واجعل لهم الجوائز التي تحفزهم للمشاركة فيها، وإن تيسر لك فاجعل في هذا الشهر العظيم ثلاث مسابقات؛ في كل عشر مسابقة. وليكن من بينها مسابقة في كتاب أو شريط تتم الإجابة عن الأسئلة منه، ويعالج مشكلة متفشية في المجتمع: من التهاون بصلاة الجماعة، أو سفور المرأة، أو غيرها.

١٢- الحرص على أن تستمر حلقات تحفيظ القرآن في المسجد في أوقات مختلفة، وليكن للكبار نصيب من الوقت بعد الفجر، أو بعد العصر مثلاً.

١٣- اجعل للعيد معنى، وذلك باجتماع أهل الحي في ساحة المسجد بعد صلاة العيد، وتبادل الأحاديث، ورؤية بعضهم البعض، واحرص على جمع القلوب وتأليف النفوس.

١٤- رمضان بداية لانطلاقك طوال العام ومواصلتك لمن رأيتهم يصلون معك في رمضان، فإن هذا الشهر أخذ بأيديهم خطوة إلى الأمام وبقيت الخطوة التالية منك. ولا يخفى على مثلك أن طريق الدعوة الأنجح: هو الاحتكاك المتواصل مع الناس وتربيتهم وليس فقط الإنكار عليهم. بل اجمع الأمرين في قالب المحبة والنصيحة وجمِّله بالصبر. ولا أخالك ـ نضر الله وجهك ـ إلا حريصاً على هداية الناس ودعوتهم، ولا تتردد في ذلك فإن قدوتك نبي هذه الأمة ورسولها محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

رابعاً: المسجد هو مهد الانطلاقة لهذا الدين، وأول عمل قام به عليه الصلاة والسلام عندما وصل إلى المدينة بناء المسجد، فمن هذا المكان يُعلم الجاهل، وينبه الغافل، وينصح المقصر، وتفرج الكربة.

خامساً: الأخ المسلم يعذر أخاه في نقصه وتقصيره، فإن الكمال لله عز وجل، وما أردت بهذا الكتاب إلا أن يكون لي سهم من سهام الخير، أرجو الله عز وجل أن يتقبله، فليعذر من قرأه ووجد نقصاً أو خللاً فإن هذه سنة الله عز وجل في خلقه.

رفع الله درجتك، وأجزل مثوبتك، وأقر عينك بنصر الإسلام والمسلمين.

الدرس الأول:

إلى مَن أدرك رمضان

الحمد لله مُدبِّر الليالي والأيام، ومُصرِّف الشهور والأعوام، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فهذه وقفات قصيرة في مستهل هذا الشهر الكريم تحيي القلوب، وتذكر النفوس، وتقوي العزائم:

الوقفة الأولى: أُذكرك ـ أخي المسلم ـ بأصل الخلق وسبب الوجود، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.. قال الإمام **النووي**: «وهذا تصريح بأنهم خُلقوا للعبادة، فحُقَّ عليهم الاعتناء بما خلقوا له، والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة، فإنها دار نفاد لا محل إخلاد، ومركب عبور لا منزل حبور، ومشرع انفصام لا موطن دوام».

أخي المسلم:

تفكر في عظم فضل الله عليك.. ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾.. وأجلُّ تلك النعم وأعظمها: نعمة الإسلام، فكم يعيش على هذه الأرض من أمم حُرمت شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.. ثم احمد الله عز وجل على نعمة الهداية والتوفيق، فكم ممن ينتسب إلى الإسلام وهم مُخالفون لتعاليمه ظاهراً وباطناً، مفرطون في الواجبات، غارقون في المعاصي والآثام، فاللهم لك الحمد.

وأنت ـ أيها المسلم ـ تتقلب في نعم الله عز وجل: من أمنٍ في الأوطان، وسعةٍ في الأرزاق، وصحةٍ في الأبدان، عليك واجب الشكر بالقول والفعل.

وأعظم أنواع الشكر: طاعة الله عز وجل واجتناب نواهيه، فإن النعم تدوم بالشكر، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

الوقفة الثانية: من نعم الله عليك أن مدَّ في عمرك وجعلك تُدرك هذا الشهر العظيم، فكم غيَّب الموت من صاحب، ووارى الثرى من حبيب.. فإن طول العمر والبقاء على قيد الحياة فرصة للتزود من الطاعات، والتقرب إلى الله عز وجل بالعمل الصالح. فرأس مال المسلم هو عمره، لذا احرص على أوقاتك وساعاتك حتى لا تضيع سدى، وتذكر مَن صام معنا العام الماضي وصلى العيد!! ثم أين هو الآن بعد أن غيبه الموت؟! واجعل لك نصيباً من حديث رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شُغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»(١). واحرص أن تكون من خيار الناس كما أخبر بذلك الرسول ﷺ فعن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: يارسول الله أي الناس خير؟ قال ﷺ: «**من طال عمره، وحسن عمله**» قال: فأي الناس شر؟ قال ﷺ: «**من طال عمره، وساء عمله**»(٢).

الوقفة الثالثة: يجب الإخلاص في النية، وصدق التوجه إلى الله عز وجل، واحذر وأنت تعمل الطاعات مداخل الرياء والسمعة فإنها داء خطير قد تحبط العمل، واكتم حسناتك، وأخفها كما تكتم وتخفي سيئاتك وعيوبك، واجعل لك خبيئة من عمل صالح لا يعلم به إلا الله عز وجل: من صلاة نافلة، أو دمعة في ظلمة الليل، أو صدقة سر، واعلم أن الله عز وجل لا يتقبل إلا من المتقين، فاحرص على التقوى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ

---

(١) رواه الحاكم(٤/ ٣٤١)، وصححه الألباني، صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٢) رواه الترمذي أبواب الزهد باب ما جاء في طول العمر للمؤمن وقال: «حديث حسن صحيح»(تحفة: ٢٤٣٢).

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ . . ولا تكن ممن يأبون دخول الجنة . . كما ذكر ذلك الرسول ﷺ بقوله: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا مَنْ أبى**». قالوا: ومن يأبى يارسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»(١).

الوقفة الرابعة: عوِّد نفسك على ذكر الله في كل حين وعلى كل حال، وليكن لسانك رطباً بذكر الله عز وجل، وحافظ على الأدعية المعروفة، والأوراد الشرعية قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ . . وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ . . قالت عائشة رضي الله عنها: «**كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**سبق المفرِّدون**» . . قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**»(٣).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وبالجملة فإن العبد إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي، ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غِبَّ إضاعتها يوم يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾».

واعلم ـ أخي المسلم ـ أنه لن يعمل أحد لك بعد موتك من صلاة وصيام وغيرها، فَهُبَّ إلى الإكثار من ذكر الله عز وجل، والتزود من الطاعات والقربات.

الوقفة الخامسة: احرص على قراءة القرآن الكريم كل يوم، ولو رتبت لنفسك جدولاً تقرأ فيه بعد كل صلاة جزءاً من القرآن لأتممت في اليوم

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ (٧٢٨٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب ذكر الله في حال الجنابة وغيرها(٣٧٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء باب: الحث على ذكر الله تعالى (٢٦٧٦).

الواحد خمسة أجزاء وهذا فضل من الله عظيم، والبعض يظهر عليه الجِدُّ والحماسُ في أول الشهر ثم يفتر، وربما يمر عليه اليوم واليومان بعد ذلك وهو لا يقرأ من القرآن شيئاً، وقد ورد في فضل القرآن ما تقر به النفوس، وتهنأ به القلوب. فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»(١).

وعن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»(٢).

الوقفة السادسة: رمضان فرصة مواتية للدعوة إلى الله.. فتقرب إلى الله عز وجل في هذا الشهر العظيم بدعوة أقاربك وجيرانك وأحبابك عبر الكتاب والشريط والنصيحة والتوجيه، ولا يخلو لك يوم دون أن تساهم في أمر الدعوة، فإنها مهمة الرسل والأنبياء والدعاة والمصلحين، وليكن لك سهم في هذا الشهر العظيم، فإن النفوس متعطشة والقلوب مفتوحة، والأجر عظيم.. قال ﷺ: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم**»(٣).

قال الحسن رحمه الله: فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد.

الوقفة السابعة: احذر مجالس الفارغين، واحفظ لسانك من الغيبة والنميمة وفاحش القول، واحبسه عن كل ما يغضب الله، وألزم نفسك الكلام الطيب الجميل، وليكن رطباً بذكر الله.. وهي فرصة للتزود من

---

(١) رواه الترمذي، في أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر(تحفة ـ ٣٠٧٥) وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة(٨٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (فتح ـ٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

الطاعة والتفرغ للعبادة، وقد لا تتكرر الفرصة.. بل وقد تموت قبل أن تعود الفرص.. واعلم أن كل يوم يعيشه المؤمن هو غنيمة.. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رجلان منَ بلِيّ من قُضاعة أسلما على عهد رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما وأُخِّرَ الآخر سنةً، فقال طلحة بن عبيد الله: فأُريتُ الجنة، فرأيت المؤخَّر منهما أُدخِلَ قبل الشهيد، فتعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ أو ذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أليس قد صام بعده رمضان وصلّى ستة آلاف ركعة، أو كذا وكذا ركعة صلاة السنة؟**»[١].

الوقفة الثامنة: منزلك هو مناط توجيهك الأول، فاحرص أولاً على أخذ نفسك وتربيتها على الخير، ثم احرص على مَنْ حولك من زوجة وأخ وأخت وأبناء؛ بتذكيرهم بعظم هذا الشهر وحثِّهم على المحافظة على الصلاة، وكثرة قراءة القرآن، وكن آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر في منزلك بالقول الطيب، والكلمة الصادقة، وأتبع ذلك كله بالدعاء لهم بالهداية. وهذا الشهر فرصة لمراجعة ومناصحة المقصرين والمفرطين، فلعل الله عز وجل أن يهدي مَنْ حولك، فيكون لك الأجر العظيم كما قال رسول الله ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[٢].

أخـي المسـلـم:

إن أفزعتك دورة الأيام وأهمَّك أمر الآخرة، وأردت أن تعمل فلا تقصر؛ فاقصد باب التوبة: واطرق جادة العودة وقل: لعله آخر رمضان في حياتي، ولعلي لا أعيش سوى هذا العام، ولا تستكثر عليك هذا التصور. فاحزم أمرك وسر إلى الآخرة، فوالله إنك في حاجة إلى الحسنة الواحدة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٣)، وصححه الألباني «صحيح الجامع»(١٣١٦).
(٢) رواه مسلم، (١٨٩٣).

واستحضر عظمة الجبار وهول المطلع، ويوماً تشيب فيه الولدان، وفكِّر في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، ونارٍ يقال لها لظى ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ وسترى بتذكر كل ذلك بإذن الله عز وجل ما يعينك على الاستمرار في العبادة، والمحافظة على الطاعة، وإن كنت قد تصدقت بما مضى من عمرك على الدنيا وهو الأكثر، فتصدق بما بقي من عمرك على الآخرة وهو الأقل.

أدعو الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يعيد هذا الشهر علينا أجمعين في خير وعافية، وأن لا يكون هذا آخر رمضان نصومه.

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا، وتجاوز عن تقصيرنا، واغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، إنك أنت الغفور الرحيم.. ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماماً، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني

كيف نعيش رمضان؟

الحمد لله الذي خصَّ شهر رمضان عن غيره من الشهور بكثير من الخصائص والفضائل، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

فها هو شهر رمضان قد أظلنا، وحري بنا أيها الأحبة أن نعرف لهذا الضيف قدره وننزله منزلته.. ومن خصائص هذا الشهر العظيم ما يلي:

* أن الصيام أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يقوم الإسلام إلا بها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**»(١).

* في شهر رمضان بعث الله محمداً ﷺ برسالة الإسلام إلى الناس كافة.

* وفيه نزل القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾.

* وفيه يُضاعف الله الحسنات، ويرفع الدرجات، فقد جاء عن النبي ﷺ في ذكر فضائل رمضان «.. **من تقرَّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه..**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ١٩١ ـ ١٩٢)، وهو جزء من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه في فضائل شهر رمضان، وفي سنده ضعف.

* إن رمضان مكفر لما بينه وبين رمضان الآخر من الذنوب، قال ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»(١).

* الصوم سبب لتكفير الذنوب، قال ﷺ: «**فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تُكفرها الصلاة والصوم والصدقة**»(٢).

* الصوم جُنَّة ووقاية من النار، قال ﷺ: «**الصوم جُنة يستجنُّ بها العبد من النار**»(٣).

* خلوف فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك.

* تستغفر الملائكة للصائمين حتى يفطروا.

* يُزين الله في كل يوم جنته ويقول: «**يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ثم يصيروا إليك**»(٤).

* وهو شهر الصبر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾.

* وفيه تصفدُ الشياطين، وتفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب النار، قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين**»(٥).

* فيه ليلة القدر هي خيرٌ من ألف شهر، من حُرِمَ خيرها فقد حُرم خيراً كثيراً.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة... (٢٣٣).

(٢) رواه البخاري (فتح ـ ١٨٩٥) كتاب الصوم، باب الصوم كفارة، ومسلم (١٤٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في الفتنة التي تموج كموج البحر.

(٣) رواه أحمد في المسند(٣/ ٣٤١) من حديث جابر رضي الله عنه، وحسنه الألباني كما في «صحيح الترغيب والترهيب». (٩٦٦).

(٤) رواه أحمد في المسند(٢/ ٢٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري (٣٢٧٧) ومسلم (١٠٧٩).

* يُغفر للصائمين في آخر ليلة من رمضان.
* لله عتقاءُ من النار، وذلك كل ليلة من رمضان.
* للصائم دعوة مستجابة لا تُرد قال ﷺ: «**ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر**»(١).

فيا أخي الكريم: شهر هذه خصائصه وفضائله بأي شيء نستقبله؟ بالانشغال واللهو وطول السهر والاستمرار في الغفلة! أو نتضجر من قدومه ويثقل علينا، ونفرح بانقضاء يومه وليلته!

كلا! فالعبد الصالح يستقبله بالتوبة النصوح، والعزيمة الصادقة على اغتنامه، وعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة، وإليك ـ أخي الكريم ـ بعضاً من الأعمال التي تتأكد في رمضان:

١ ـ الصوم:

قال ﷺ: «**كلُّ عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. يقول الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»(٢).

* وقال ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه**»(٣).

والصيام صيام عن الطعام، وعن الحرام: من زور، وبهتان، وغيبة، ونميمة.

ولا تجعل ـ أخي المسلم ـ يوم صومك ويوم فطرك سواء، ولا يكن حظك من صيامك الجوع والعطش.

---

(١) رواه البيهقي في السنن (٣/ ٣٤٥) ومن طريقه الضياء في «الأحاديث المختارة» (٦/ ٧٤)(٢٠٥٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٣٠٣٢) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (فتح ـ ١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)(١٦٤).
(٣) أخرجه البخاري (فتح ـ ١٩٠١)، ومسلم(٧٦٠).

٢ ـ القيام:

* قال ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه**»(١).

* وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾.

* وفي حديث السائب بن يزيد قال: كان القارىء يقرأ بالمئين ـ يعني بمئات الآيات ـ حتى كنّا نعتمدُ على العصي من طول القيام قال: وما كانوا ينصرفون إلاّ عند الفجر.

٣ ـ الصدقة:

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان حين يلقاه جبريل...، كان أجودَ بالخير من الريح المرسلة..»(٢).

وللصدقة في رمضان مزية وخصوصية فبادر إليها، واحرص على أدائها بحسب حالك. ولها صور كثيرة منها:

أ ـ إطعام الطعام:

قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾. ولهذا كان السلفُ الصالح يحرصون على إطعام الطعام سواءً كان ذلك بإشباع جائع أو إطعام أخ صالح، فلا يُشترط في المُطعَم الفقر، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ـ ١٩٠١)، ومسلم (٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (فتح ـ١٩٠٢).

قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»(١)

قال **الشافعي** رحمه الله: «أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم فيه بالعبادة عن مكاسبهم».

ب ـ تفطير الصائمين:

وقد ورد في فضله أجر عظيم، منها قوله ﷺ: «**من فطّر صائماً كان له مثلُ أجره غير أنه لا ينقصُ من أجر الصائم شيء**»(٢).

٤ ـ الاجتهاد في قراءة القرآن:

شهر رمضان هو شهرُ القرآن فينبغي أن يُكثر العبد المسلم من قراءته، وقد كان من حال السلف العنايةُ بكتاب الله، فكان جبريلُ يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان، وكان عثمان بن عفّان رضي الله عنه يختم القرآن كلَّ يوم مرة، وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كلِّ يوم مرة، وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، وبعضهم في كل عشر.

قال **ابن رجب**: «إنما ورد النهي عن قراءةِ القرآن في أقلَّ من ثلاثٍ على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصاً الليالي التي يُطلبُ فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها؛ فيُستحبُ الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً لفضيلة الزمان والمكان، وهو قولُ أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدلُّ عمل غيرهم، كما سبق ذكره».

---

(١) رواه البخاري(١٢) ومسلم (٣٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند(٤/ ١٤٤و١١٦) وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع»(٦٤١٥).

٥ ـ الجلوس في المسجد حتى تطلع الشمس:

عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ «كان إذا صلَّى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسناً»(١).

وأخرج الترمذي عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة**»(٢). هذا في كل الأيام، فكيف بأيام رمضان؟!

فيا أخي ـ رعاك الله ـ استعن على تحصيل هذا الثواب الجزيل بقيام الليل. والاقتداء بالصالحين، ومجاهدة النفس في ذات الله، وعلو الهمة لبلوغ منازل الجنة.

٦ ـ الاعتكاف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يعتكفُ في كلِّ رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً»(٣).

فالاعتكافُ من العبادات التي تجمع كثيراً من الطاعات؛ من التلاوة، والصلاة، والذكر، والدعاء، وغيرها.

وآكدُ الاعتكاف في العشر الأواخر تحرياً لليلة القدر، وهو الخلوة الشرعية، فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغلٍ يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقي له همٌّ سوى الله وما يرضيه عنه.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب: فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح (٦٧٠)(٢٨٧).
(٢) رواه الترمذي، (تحفة ـ ٥٨٣) وقال: «حديث حسن غريب»، والحديث صححه الألباني لشواهده، انظر: «صحيح الترغيب والترهيب»(٤٦١).
(٣) أخرجه البخاري (فتح ـ ٢٠٤٤).

٧ ـ العمرة:

وفيها فضل عظيم وأجر كبير، قال ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما**»[١]. وفي رمضان يتضاعف هذا الفضل والأجر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رجع من حجة الوداع قال لامرأة من الأنصار اسمها أم سنان: «**ما منعك أن تحجي معنا؟**» قالت: أبو فلان ـ زوجها ـ له ناضحان: حج على أحدهما، والآخر نسقي عليه، فقال لها النبي ﷺ: «**فإذا جاء رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة**» أو قال: «**حجة معي**»[٢].

اللهم وفقنا لفعل الخيرات والمسارعة إلى الطاعات، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ـ ١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (فتح ـ ١٧٨٢) ومسلم (١٢٥٦).

الدرس الثالث:

أحكام الصيام وتنبيهات عامة للصائمين

الحمد لله الذي جعل في تعاقب الليل والنهار عبرة لأولي الأبصار، أحمده وأشكره على نعمه الغزار، لا إله إلا هو العزيز الغفار، حكم بفناء هذه الدار، وأمر بالتزود لدار القرار، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الأبرار، **وبعد:**

فإن الصيام عبادة عظيمة، يستلزم المرء أن يعلم بعضاً من أحكامها، ويحذر أن يقع في أخطاء يجهلها.. ومن الأمور التي يجب على المسلم التنبه إليها:

أولاً: مفطرات الصائم

لا يفطر الصائم إذا تناول شيئاً من المفطرات ناسياً، أو جاهلاً، أو مكرهاً، لقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ وقوله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

والمفطرات ثمانية هي:

(أ) الجماع: إذا وقع في نهار رمضان من صائم يجب عليه الصوم فعليه مع القضاء كفّارة مغلظة، وهي عتق، رقبة فإن لم يجد، فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

(ب) إنزال المني يقظة باستمناء، أو مباشرة، أو تقبيل، أو ضم، أو نحو ذلك.

(ج) الأكل أو الشرب سواء كان نافعاً أو ضاراً: كالدخان.

(د) حقن الإبر المغذية التي يُستغنى بها عن الطعام، لأنها بمعنى الأكل والشراب، فأما الإبر التي لا تغذي فلا تفطر سواء استعملها في العضلات أو في الوريد، وسواء وجد طعمها في حلقه أو لم يجده.

(هـ) حقن الدم مثل: أن يحصل للصائم نزيف فيُحقن به دم تعويضاً عما نزف منه.

(و) خروج دم الحيض والنفاس.

(ز) إخراج الدم بالحجامة ونحوها. فأما خروج الدم بنفسه: كالرعاف أو خروجه بقلع سن ونحوه فلا يفطر، لأنه ليس حجامة، ولا بمعنى الحجامة.

(ح) القيء إن تقصّده، وإن تقيَّأ الشخص من غير قصد لم يفطر.

ثانياً: تنبيهات على أخطاء أو نقائص تقع من بعض الصائمين:

١ ـ عدم تبييت النية للفرض من الليل أو قبل طلوع الفجر، وإن كان قد يُكتفى لرمضان بنية واحدة.

٢ ـ تقديم السحور قبل الفجر بساعة أو ساعتين، وقد ورد الترغيب في تعجيل الفطر وتأخير السحور.

٣ ـ الإسراف من غالب الناس في المآكل والمشارب وهو خلاف ما شُرع له الصوم من الجوع الذي هو سبب الخشوع.

٤ ـ التفريط في أداء الصلاة جماعة: كالظهر، والعصر، لعذرالكسل، أو النوم، أو الاشتغال بما لا يُجدي.

٥ ـ عدم حفظ اللسان في نهار الصيام وليله من اللغو، والرفث، وقول الزور، والكذب، والغيبة، والنميمة.

٦ ـ إضاعة الأوقات الشريفة في اللهو واللعب، ومشاهدة الألعاب والأفلام والألغاز والأحاجي، والتسكع في الطرقات.

٧ ـ التفريط في الأعمال المضاعفة في رمضان: كالأدعية، والأذكار، والقراءة، ونوافل الصلوات المؤكدة.

٨ ـ ترك صلاة التراويح جماعة مع ورود الترغيب في فعلها مع الإمام حتى ينصرف ليكتب له قيام ليلة.

٩ ـ يلاحظ أول الشهر كثرة المصلين والقرّاء، ثم يقع العجز والنقص في آخر الشهر، مع أن العشر الأواخر لها مزية على أول الشهر.

١٠ ـ ترك القيام الذي خُصَّتْ به العشر الأواخر، فقد كان النبي ﷺ إذا دخلت العشر أحيا ليله وأيقظ أهله، وجدَّ وشد المئزر.

١١ ـ السهر ليلة الصيام، ثم النوم عن صلاة الصبح فلا يصليها البعض إلا في الضحى، وذلك تفريط في هذه الفريضة.

١٢ ـ البخل بالمال ومنع ذوي الحاجة مع كثرتهم في رمضان، رغم مضاعفة أجر الصدقات في تلك الأوقات.

١٣ ـ عدم الانتباه من الكثير لأداء الزكاة المالية كاملة، مع أنها قرينة الصلاة والصيام، وإن كانت لا تختص برمضان.

١٤ ـ الغفلة عن الدعاء في وقت الصيام، وخصوصاً عند الإفطار بتناول الأكل والشرب، مع أنه ورد الحديث بذلك، وأن للصائم عند فطره دعوة لا تُرد.

١٥ ـ إضاعة سُنة الاعتكاف في رمضان، وبالأخص في العشر الأواخر مع ورودها في الكتاب والسنة.

١٦ ـ خروج الكثير من النساء إلى المساجد بلباس الزينة، مع التعطر والتطيب، مع ما فيه من أسباب الفتنة.

١٧ ـ التسهيل للنساء ليخرجن إلى الأسواق في ليالي رمضان ومع سائق أجنبي، وبلا محرم، بدون حاجة غالباً.

اللهم أتمَّ علينا هذا الشهر بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام اللهم أعِنَّا على صيامه وقيامه، اللهم واجعلنا من عتقائك من النار، وممن فاز بالدرجات في الجنات، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع:

لا إله إلا الله

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن كلمة لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص، وهي أول ركن من أركان الإسلام، وأعلى شعبة من شعب الإيمان، وهي أول وأعظم واجب على المكلَّف، وآخر واجب عليه، فلا أعظم على المكلَّف منها علماً وعملاً.

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، ولهذا عرف مشركو قريش معناها فقالوا كما ذكر الله عز وجل عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ وإلا فهم يعلمون بأن الله عز وجل هو الخالق والرازق ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

ومن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها، من نفي الشرك وإثبات الوحدانية مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته والعمل به فهو المسلم حقاً، ومن عمل بها من غير اعتقاد فهو المنافق، ومن عمل بخلافها من الشرك فهو المشرك الكافر وإن قالها بلسانه.

ولا إله إلا الله كلمة عظيمة، وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وكلمة الإخلاص، وهي التي قامت بها السماوات والأرض، وشُرعت لتكميلها السنة والفرض، ولأجلها جُرِّدت السيوف، فمن قالها وعمل بها صدقاً وإخلاصاً وقبولاً ومحبة أدخله الله الجنة على ماكان من العمل. قال ﷺ: «من

شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ماكان من العمل»[1].

وقد ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ لها شروطاً سبعة لا تصح إلا إذا اجتمعت واستكملها العبد، وهي:

الأول: العلم:

والمراد به العلم بمعناها نفياً وإثباتاً، وما تستلزمه من عمل، فإذا علم العبد أن الله ـ عز وجل ـ هو المعبود وحده لا شريك له، وأن عبادة غيره باطلة، وعمل بمقتضى ذلك العلم ـ فهو عالم بمعناها.

وضد العلم الجهل؛ بحيث لا يعلم وجوب إفراد الله بالعبادة، بل يرى جواز عبادة غير الله مع الله، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

الثاني: اليقين:

وهو أن ينطق بالشهادة عن يقين جازم يطمئن قلبه إليه، دون تسرب شيء من الشكوك، ويعتقد صحة ما يقوله من أحقية إلهية الله تعالى، وبطلان إلهية من عداه، وأنه لا يجوز أن يُصرف لغيره شيءٌ من أنواع التألُّه والتعبد، فإن شك في شهادته أو توقف في بطلان عبادة غير الله؛ كأن يقول: أجزم بألوهية الله ولكنني متردد ببطلان إلهية غيره؛ بطلت شهادتُه ولم تنفعه، قال تعالى مثنياً على المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ وقد مدح الله المؤمنين أيضاً بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ـ ٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**»(١).

وعنه رضي الله عنه أيضاً أن النبي ﷺ قال لأبي هريرة رضي الله عنه: «**من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشِّره بالجنة**»(٢).

ثالثاً: القبول:

والقبول يعني أن يقبل كل ما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، فيصدق بالأخبار، ويؤمن بكل ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، ويقبل ذلك كله، ولا يرد منه شيئاً، ولا يجني على النصوص بالتأويل الفاسد والتحريف الذي نهى الله عنه.

وضد القبول: الرد، فإن هناك من يعلم معنى الشهادة ويوقن بمدلولها، ولكنه يردها كبراً وحسداً، وهذه حال علماء اليهود والنصارى، كما قال تعالى عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾.

ويدخل في الرد وعدم القبول من يعترض على بعض الأحكام الشرعية أو الحدود أو يردها، كالذين يعترضون على حد السرقة، أو الزنا، أو على تعدد الزوجات. فهذا كله داخل في الرد وعدم القبول.

رابعاً: الانقياد المنافي للترك:

وذلك بأن ينقاد لما دلت عليه كلمة الإخلاص، ولعل الفرق بين الانقياد والقبول، أن القبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول، أما الانقياد فهو الاتباع بالأفعال، ويلزم منهما جميعاً الاتباع، فالانقياد: هو الاستسلام والإذعان وعدم التعقب لشيء من أحكام الله، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾

ومن الانقياد أيضاً لما جاء به النبي ﷺ: الرضى به، والعمل به دون تعقب

---

(١) رواه مسلم، (٢٧).

(٢) رواه مسلم، (٣١).

أو زيادة أو نقصان، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

إذا علم أحد معنى لا إله إلا الله، وأيقن بها، وقبلها، ولكنه لمن ينقد، ويذعن، ويستسلم ويعمل بمقتضى ماعلم؛ فإن ذلك لا ينفعه.

ومن عدم الانقياد ترك التحاكم لشريعة الله عز وجل، واستبدالها بالقوانين الوضعية.

خامساً: الصدق:

وهو الصدق مع الله، وذلك بأن يكون صادقاً في إيمانه صادقاً في عقيدته، ومتى كان ذلك فإنه سيكون مصدقاً لما جاء من كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ، فالصدق أساس الأقوال، ومن الصدق أن يصدق في دعوته، وأن يبذل الجهد في طاعة الله، وحفظ حدوده، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

وقد ورد اشتراط الصدق في الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة**»(١).

وضد الصدق الكذب، فإن كان العبد كاذباً في إيمانه فإنه لا يُعدُّ مؤمناً، بل هو منافق؛ وإن نطق بالشهادة بلسانه، وحاله هذه أشد من حال الكافر الذي يظهر كفره، فإن قال الشهادة بلسانه وأنكر مدلولها بقلبه فإن هذه الشهادة لا تنجيه، بل يدخل في عداد المنافقين، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

ومما ينافي الصدق في الشهادة تكذيب ما جاء به الرسول ﷺ أو تكذيب

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/٤١١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وصححه الألباني «صحيح الجامع» (٣٥).

بعض ما جاء به؛ لأن الله سبحانه أمرنا بطاعته وتصديقه، وقرن ذلك بطاعته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾.

سادساً: الإخلاص:

وهو تصفية الإنسان عمله بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، وذلك بأن تصدر منه جميع الأقوال والأفعال خالصة لوجه الله، وابتغاء مرضاته، ليس فيها شائبة رياء، أو سمعة، أو قصد نفع، أو غرض شخصي أو شهوة ظاهرة أو خفية، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»(١).

وفي الصحيحين من حديث عتبان «**فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»(٢). وقال عز وجل محبطاً لأعمال أهل الشرك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾.

سابعاً: المحبة:

أي المحبة لهذه الكلمة العظيمة، ولما دلت عليه واقتضته، فيحب الله ورسوله ﷺ ويقدم محبتها على كل محبة، ويقوم بشروط المحبة ولوازمها؛ فيحب الله محبة مقرونه بالإجلال والتعظيم والخوف والرجاء، ويحب ما يحبه الله من الأمكنة: كمكة المكرمة، والمدينة النبوية، والمساجد عموماً، والأزمنة: كرمضان، وعشر ذي الحجة، وغيرها، والأشخاص: كالأنبياء،

---

(١) رواه البخاري ـ (فتح ـ ٩٩) كتاب العلم، باب: الحرص على الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (فتح ـ ٤٢٥) ومسلم (٢٦٣)(٣٣) كتاب المساجد، باب رخصة في التخلف عن الجماعة لعذر.

والرسل، والملائكة، والصديقين، والشهداء، والصالحين، والأفعال: كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والأقوال: كالذكر، وقراءة القرآن. ومن المحبة ـ أيضاً ـ تقديم محبوبات الله على محبوبات النفس وشهواتها ورغباتها، وذلك لأن النار حُفَّت بالشهوات، والجنة حفت بالمكاره.

ومن المحبة أيضاً أن يكره ما يكرهه الله؛ فيكره الكفار، ويبغضهم، ويعاديهم، ويكره الكفر والفسوق والعصيان، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ ﴾.

وقال ﷺ: «**ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..**»[1].

وضد المحبة الكراهية لهذه الكلمة ولما دلت عليه وما اقتضته، أو محبة غير الله مع الله.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾. فهؤلاء الذين بيَّن الله جل وعلا شأنهم في هذه الآية يحبون الله، ولكنهم يحبون غيره مثل محبته، ومع ذلك سماهم الله ظالمين، والظلم هنا بمعنى الشرك بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾.

ومما ينافي المحبة أيضاً بغض الرسول ﷺ، ومما ينافيها موالاة أعداء الله من

---

(١) رواه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣).

اليهود والنصارى وسائر الكفار والمشركين، ومما ينافيها أيضاً معاداة أولياء الله المؤمنين.

ومما ينافي كمالها: المعاصي، والذنوب.

اللهم طهر قلوبنا من الشرك والنفاق، واجعل أعمالنا صواباً خالصة لوجهك الكريم، اللهم اجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدرس الخامس:

الصـــلاة

الحمد لله الذي وعد من أطاعه بجنات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن للصلاة في الإسلام منزلة لا تعدلها منزلة أي عبادة أخرى، فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، قال ﷺ: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»(١). وهي فريضة دائمة مُطلقة، لا تسقط حتى في حال الخوف، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾.

وهي أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات، وهي أول ما يُحاسب عليه العبد، وهي آخر وصية وصى بها رسول الله ﷺ أمته عند موته فقال: «**الصلاةَ، الصلاةَ، وما ملكتْ أيمانكم**»(٢). وهي آخر ما يفقد من الدين، فإن ضاعت ضاع الدين كله، قال ﷺ: «**لتُنقضن عُرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عُروة، تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحُكم، وآخرهن الصلاة**»(٣).

وقد ذكرها الله عز وجل من الشروط الأساسية للهداية والتقوى، فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

---

(١) رواه الترمذي (تحفة ـ ٢٧٤٩) وأحمد (٥/ ٢٣١) وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) رواه أحمد: (٦/ ٢٩٠) و صححه الألباني «صحيح الجامع» (٣٨٧٣).

(٣) رواه أحمد: (٥/ ٢٥١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه الألباني «صحيح الجامع» (٥٠٧٥).

﴿بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾. واستثنى الله عز وجل المحافظين على الصلاة من الأخلاق الذميمة والصفات السيئة فقال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾

وقال جل وعلا وهو يحكي عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾، وتوعد عز وجل تارك الصلاة بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ والسهو: تركها حتى يخرج وقتها. وقد جعل الرسول ﷺ الحد الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة فقال ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»(١).

وتوعد عز وجل مَن ضيَّعها بالعذاب الشديد ﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾.

والغي: واد في جهنم خبيث الطعم، بعيد القعر، جعله الله لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات.

وكان ﷺ شديد الحرص على الصلاة والمحافظة عليها، عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «**كان يكون في مهنة أهله**(تعني في خدمة أهله) **فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة**»(٢).

وبشر النبي ﷺ من اهتم بأمر الصلاة وحافظ عليها أن يُظله الله في ظله جل وعلا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل**

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٤٦) والترمذي (تحفة ـ ٢٧٥٦) وابن ماجه (١/ ٣٣٣) والنسائي (١/ ٢٣١) وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب» ورواه الحاكم (١/ ٦) وقال: « صحيح لا نعرف له علة» ووافقه الذهبي، وصححه الألباني «صحيح الجامع» (٤١٤٣).

(٢) رواه البخاري: (٦٧٦).

إلا ظله» وذكر منهم «**ورجل قلبه معلق في المساجد**»[١].

ومن أوضح صفات المنافقين التخلف عن الصلاة، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها ـ أي الصلاة ـ إلا منافق معلوم النفاق».

وقد تساهل أناس في أمر الصلاة في المساجد والله عز وجل يقول في كتابه الكريم: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

وهو نص في وجوب صلاة الجماعة ومشاركة المصلين في صلاتهم، ولو كان المقصود إقامتها لاكتفى بقوله في أول الآية «وأقيموا الصلاة».

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**»[٢].

وفي صحيح مسلم[٣] أن رجلاً أعمى قال يارسول الله: ليس لي قائد يلائمني إلى المسجد فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟، فقال له النبي ﷺ: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع المنادي بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر، لم تقبل منه الصلاة التي صلى**» قيل: وما العذر يا رسول الله؟ قال: «**خوف أو مرض**»[٤].

وقال ﷺ: «**أثقل الصلاة على المنافقين: صلاة العشاء، وصلاة الفجر،**

---

(١) رواه البخاري: (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).
(٢) رواه البخاري (٦٤٤) ومسلم (٦٥١) (٢٥٢).
(٣) رقم (٦٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) رواه أبوداود: (٥٥١) وصححه الألباني «صحيح الجامع» (٦٣٠٠).

ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً»[١]. والناس في هذا الزمن تفلَّت منهم أمر الصلاة، فمنهم من يصلي في رمضان فحسب، ومنهم من يصلي الجمعة فقط، ومنهم من يُصلي لكن بجوار زوجته! ومنهم من يُصلي العصر مع غروب الشمس ويصلي الفجر مع طلوع الشمس! وآخرون يصلون مع الجماعة أربع صلوات فحسب وأسقطوا الفجر! وآخرون يصلون ويتركون أبناءهم خلفهم في البيت فلا يُؤمرن بصلاة ولا يُنهون عن منكر!

قالت عائشة رضي الله عنها: «من سمع المنادي فلم يجب من غير عذر، لم يجد خيراً ولم يُردَ به»، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له».

وسأل رجل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: رجل يصوم النهار ويقوم الليل، لا يشهد جمعة ولا جماعة؟ قال ابن عباس: «هو في النار».

وتأمل في أمر تفويت صلاة واحدة فقط، فقد قال ﷺ: «**الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتِر ماله وأهله**»[٢]. وقال في الحديث الآخر: «**من ترك صلاة العصر فقط حبط عمله**»[٣].

وقد سُئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ السؤال التالي:

أنا شاب حريص على الصلاة غير أنني أنام متأخراً فأركب الساعة (المنبه) على الساعة السابعة صباحاً أي بعد شروق الشمس، ثم أصلي وأذهب للمحاضرات، وأحياناً في يوم الخميس أو الجمعة أستيقظ متأخراً أي قبل الظهر بقليل بساعة أو ساعتين فأصلي الفجر عندما أستيقظ، علماً بأني أصلي أغلب الأوقات بغرفتي بالسكن، ومسجد السكن الجامعي ليس بعيداً عني،

---

(١) رواه البخاري: (٦٥٧) ومسلم (٦٥١)(٢٥٢).
(٢) رواه البخاري: (٥٥٢).
(٣) رواه البخاري: (٥٥٣).

وقد نبهني أحد الإخوة إلى أن ذلك لا يجوز.

المرجو من سماحتكم إيضاح الحكم فيما سبق وجزاكم الله خيراً.

فأجاب سماحة الشيخ العلاَّمة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ رحمه الله ـ:

من يتعمد تركيب الساعة إلى ما بعد طلوع الشمس حتى لا يُصلي فريضة الفجر في وقتها، هذا قد تعمد تركها وهو **كافر** بهذا عند جمع من أهل العلم، نسأل الله العافية لتعمده ترك الصلاة، وهكذا إذا تعمد تأخير الصلاة إلى قرب الظهر ثم صلاها عند الظهر أي صلاة الفجر، أما من غلبه النوم حتى فاته الوقت فهذا لا يضره ذلك وعليه أن يصلي إذا استيقظ، ولا حرج عليه إذا كان غلبه النوم أو تركها نسياناً.

وسُئل أيضاً فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين السؤال الآتي:

يعيب بعض علماء المسلمين على المسلم الذي يصوم ولا يصلي، فما دخل الصلاة في الصيام، فأنا أريد أن أصوم لأدخل مع الداخلين من باب الريان، ومعلوم أن رمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن، أرجو التوضيح وفقكم الله.

فأجاب حفظه الله: الذين عابوا عليك أنك تصوم ولا تُصلي على صواب فيما عابوه عليك، وذلك لأن الصَّلاة عمود الإسلام، ولا يقوم الإسلام إلا بها، والتارك لها كافرٌ خارج عن ملة الإسلام، والكافر لا يقبل الله منه صياماً، ولا صدقة، ولا حجاً ولا غيرها من الأعمال الصالحة لقول الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾. وعلى هذا فإذا كنت تصوم ولا تُصلي، فإننا نقول لك: إن صيامك باطل غير صحيح، ولا ينفعك عند الله، ولا يقربك إليه. وأما ما وهمته من أن رمضان إلى رمضان مُكفِّر لما بينهما، فإننا نقول لك: إنك لم تعرف الحديث الوارد في هذا، فإن

رسول الله ﷺ يقول: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر**»[١]. فاشترط النبي عليه الصلاة والسلام لتكفير رمضان الى رمضان، اشترط أن تُجتنب الكبائر، وأنت أيها الرجل الذي لا تصلي وتصوم لم تجتنب الكبائر، فأي كبيرة أعظم من ترك الصلاة بل إن ترك الصلاة كُفرٌ، فكيف يكفِّر الصيام عنك، فترك الصلاة كفرٌ. ولا يُقبل منك الصيام. فعليك يا أخي أن تتوب إلى ربك، وأن تقوم بما فرض الله عليك من صلاتك ثم بعد ذلك تصوم. ولهذا لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال: «**ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هُم أجابوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات لكل يوم وليلة**»[٢] فبدأ بالصلاة ثم الزكاة، بعد ذكر الشهادتين. ا. هـ

اللهم اهدنا ووفقنا وأعنا على حسن عبادتك على الوجه الذي يرضيك عنا، اللهم يسر أمورنا واشف صدورنا، وطهر قلوبنا. ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم: (٢٣٣)(١٦).

(٢) رواه البخاري: (١٣٩٥) كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة، ومسلم (١٩) كتاب الإيمان باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

الدرس السادس:

بر الوالدين

الحمد لله الذي خلق الإنسان من عدم، وأسبغ عليه وافر النِعم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين قولاً وفعلاً وصلةً وبراً. أما بعد:

فقد أمر الله عز وجل ببر الوالدين والإحسان إليهما، قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

قال **ابن كثير** في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾: «أي لا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيىء».

وقد خصَّ الله عز وجل التربية بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾. ليتذكر العبد شفقة الوالدين وتعبهما في التربية فيزيده ذلك إشفاقاً لهما وحناناً عليهما.

وقال تعالى مؤكداً على حق الوالدين: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾.

وبر الوالدين من أفضل الأعمال، وأجلُّ القربات، وأعظم الطاعات، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[1]. كما وأن بر الوالدين من أسباب دخول الجنة، ومن الطرق الموصلة إليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) رواه البخاري: (٥٩٧٠) ومسلم (٨٥).

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رغم أنفه، ثم رَغِمَ أنفه، ثم رغم أنفه**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة**»(١).

قال الحسن: البر: أن تطيعهما في كل ما أمراك به ما لم تكن معصية لله، والعقوق: هجرانهما، وأن تحرمهما خيرك.

أخي المسلم:

وهذا الشهر العظيم يبسط رداءه عليك وقد أظلك يومه، وأقبل عليك نفعه. تأمل في حال رجل يأتي إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد وهو من أعظم الأعمال، وفيه من المشقة والتعب والحِلّ والترحال وتقطع الروح، فقال له الرسول ﷺ: «**أحيٌّ والداك؟**» قال: نعم. فقال: «**ففيهما فجاهد**»(٢).

والأمر بالإحسان إلى الوالدين عام مطلق، ينضوي تحته ما يُرضي الابن وما لا يرضيه، من غير احتجاج ولا جدل ولا مناقشة، وهذه نقطة يجب الانتباه إليها لأن أكثر الأبناء يغفلون عنها، إذ يحسبون أن البر فيما يروق لهم، ويوافق رغباتهم، والحقيقة على عكس ذلك تماماً. فالبر لا يكون إلا فيما يخالف أهواءهم وميولهم، ولو كان فيما يوافقهما لما سُمّي براً.

قال الله تعالى حاثاً على برهما ومعرفة مكانتهما: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾.

أخي المسلم:

لا تمش إليهما، بل كن مثل الطائر في سرعة إجابتهما وتلبية حاجتهما والوصول إلى رضاهم، وأتبع تلك الخدمة بالدعاء لهما بالرحمة والمغفرة، وما أحسبك بلغت بعض حقهما، ولكن الله يثيب على القليل، ويبارك فيه.

---

(١) رواه مسلم: (٢٥٥١).

(٢) رواه البخاري: (٥٩٧٢).

ومع هذه الدعوة الكريمة من الله عز وجل للبر والإحسان بالوالدين، إلا أننا نلاحظ اختلالاً في الموازين ونقصاً في الأفهام، فنرى من يقدِّم الصديق والرفيق على الوالدين، والبعض يترك فضائل الأعمال من بر والدين ويذهب لأقل منها.

ولننظر إلى حال الكثير وهو يهرب من أبيه حال كبره، ولا يزوره إلا في فترات متباعدة، بل ربما وضعه في أحد دور المسنين، وربما نهره أو عنَّفه بصوت مرتفع وكلام سيء، وكأنه يتخاصم مع عدوه. وهناك من يتعامل بحسن خلق ولين جانب مع الكفار، وهو سيء الطبع والخلق مع والديه!! وغالب شباب اليوم تتقدم منزلة الصديق عنده على منزلة الوالدين، والله المستعان.

ومما شاع وانتشر لقلَّة الدين، وضعف الأنفس، وتسلط النساء، طاعة الزوجة وتقديمها على الوالدين. عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال: أوصاني رسول الله ﷺ: «**لا تعقَّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك**»[(١)]. ولا خير في امرأة تسوق زوجها إلى عقوق والديه وقطع رحمه.

عن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: كانت تحتي امرأة كان عمر يكرهها، فقال: طلقها فأبيت، فأتى عمر النبي ﷺ فقال: «**أطع أباك**»[(٢)]. وهذا إذا كان هناك مصلحة شرعية وعدم ضرر.

أخي المسلم:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً أتاه فقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الوالد أوسط أبواب**

---

(١) رواه أحمد: (٥/٢٣٨) وحسنه الألباني كما في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٦٧).
(٢) رواه أحمد: (٢/٢٠).

الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب، أو احفظه»[١]. في هذا الحديث بيان واضح أن في عقوق الوالدين إضاعة لأوسط أبواب الجنة، وأوسطها أعدلها وأكثرها خيراً، وفي برهما حفظه. فمن التمس السعادة حافظ عليه، ولو على راحته وسروره، ومن باع آخرته بدنياه وآثر الحياة الفانية على الحياة الباقية، وفضل اللذة الدائمة فإنه لا يبالي إن حفظ أوضيع. هذا إذا كانت المرأة صالحة وأمراه بفراقها، أما إذا كانت سيئة الخلق خبيثة المنبت، وسيئة الطبع، جموح القيادة؛ فطلاقها خير وأبقى.

كما وأن الأخت المسلمة الموفقة التي تخاف الله عز وجل لها نصيب في إعانة الزوج على بر والديه واحتساب الأجر في ذلك، ودفعه إلى برهما ومراعاة حالهما وكبر سنهما، وإن من حسن العشرة وطيب المعدن التودد إلى والديه وخدمتهما وتفقد حاجاتهما.

قال **مجاهد**: لا ينبغي للولد أن يدفع يد والده عنه إذا ضربه، ومن شدَّ النظر إلى والديه فلم يبرهما، ومن أدخل عليهما حزناً فقد عقهما.

واحذر ـ أخي المسلم ـ من عقوق الوالدين فعن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال الرسول ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً**. قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ـ وجلس وكان متكئاً ـ ألا وقول الزور**» ما زال يكررها حتى قلت: ليته سكت.»[٢].

وعن معاوية بن جاهمة بن العباس السلمي: أن جاهمة رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أردت الغزو وجئت أستشيرك. فقال: «هل

---

(١) رواه أحمد: (٦/ ٤٤٥) والترمذي: (١٩٦١) ـ تحفة وقال: «حديث صحيح»، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع (٧١٤٥).

(٢) رواه البخاري: (٥٩٧٦) كتاب الأدب: باب عقوق الوالدين من الكبائر.

لك من أم؟» قال: نعم. قال: «**الزمها فإن الجنة عند رجليها**»[١].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبواي يبكيان. فقال: «**ارجع فأضحِكْهما كما أبكيتهما**» وفي لفظ آخر: «**لا أبايعك حتى ترجع إليهما فتضحكهما كما أبكيتهما**»[٢].

قال **بشر بن الحارث**: الولد بالقرب من أمه تسمع نَفَسَه، أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله عز وجل، والنظر إليهما أفضل من كل شيء.

وعن **عطاء** أن رجلاً أقسمت عليه أمه: لا تُصلي إلا الفريضة، ولا تصوم إلا شهر رمضان قال: **يُطيعها**؛ لأن طاعتها مقدمة على نوافل العبادات.

وقال هشام بن حسان: قلت **للحسن**: إني أتعلم القرآن وإن أمي تنتظرني بالعشاء، قال الحسن: تعشَّ العشاء مع أمك تقرُّ بها عينك أحب إليَّ من حجة تحجها تطوعاً.

ورأى **ابن عمر** رضي الله عنهما رجلاً قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة، فقال: يا ابن عمر: أتراني جازيتها؟ قال: ولا بطلقة واحدة من طلقاتها، ولكن قد أحسنت، والله يثيب على القليل كثيراً.

أخـــي المســـلم:

لو أكرمك إنسان يوماً من الدهر أو يومين لأكثرت من الثناء عليه وشكره وتعداد محاسنه، فما بال والديك لا يريان إلا جحوداً وصدوداً وهمّاً منهما في حياتك؟ سنوات طويلة وهما يتفقدانك ويقدمان لك الأكل والشرب والغذاء والكساء، والدواء والعلاج، والرحمة والحنان، والرعاية والتربية، ثم

---

(١) رواه أحمد: (٣/ ٤٢٩) وحسنه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع (٥٦٣).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد: (١٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الشيخ الألباني.

نهاية كل ذلك المعروف وهذا الخير أن تهجرهما! سبحان الله ما أقسى القلب وما أبعده عن الخير!

أخي المسلم:

ولم نر ابناً مرض حينما فقد أباه أو أمه، وتأمل في يعقوب عليه السلام وكيف أثر فقد ابنه يوسف عليه ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

ومما شاع من صور العقوق: إبكاؤهما وتحزينهما، وعدم زيارتهما إلا على فترات متباعدة، وعدم تفقد أحوالهم الصحية والمادية. كذلك إدخال المنكرات والتهاون في طاعة الله من قبل الأبناء فإن ذلك يسوؤهما ويدخل الحزن على قلوبهما، ومما شاع بين بعض الناس عدم احترامهما والقيام لهما وتقبيل رأسهما وإجابة طلبهما، ومن العقوق: أن يستحوذ الغرور على الأبناء فيستحيون أن يُنسبوا إلى آبائهم، لاسيما إذا كانوا في مراكز اجتماعية مرموقة وبسطة في المال واسعة.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»[1].

قال **ابن بطال**: إن الأم تنفرد عن الأب بثلاثة أشياء: صعوبة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاع.

وفي تقديم الأم على الأب حكمة، بالغة فهي بالإضافة إلى ما تبذله من جهد يفوق جهده إلا أنها في حاجة إلى من يعولها ويبرها، لأنها ضعيفة الجسم عديمة الكسب، تحتاج إلى المدارة والعاطفة! ومن أحق الناس بذلك سوى ابنها!

---

(١) رواه البخاري: (٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨).

أخـي الحبيب:

من صور البر لمن فقد والديه وغيَّبهما الموت: الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة، وإنفاذ وصيتهما، وكذلك التصدق عنهما، وصلة رحمهما، كما جمع ذلك الرسول ﷺ حينما سأله رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، هل بقي عليَّ من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به؟ قال: «**نعم خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحمة التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما**»[(١)].

أخـي الشاب: وصية من الله لك من فوق سبع سماوات، من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ. هاهما بجوارك قد دبَّ المشيب إليهما، واحدودب الظهر منهما، وارتعشت الأطراف، لا يقومان إلا بصعوبة، ولا يجلسان إلا بمشقة، أنهكتهما الأمراض، وزارتهما الأسقام، عليك بالبر والإحسان ولا تبخل عليهما بمالك وجهدك وحسن خلقك وطيب معشرك.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا واجزهم عنا خير الجزاء، اللهم ارفع درجاتهم وأعل قدرهم. واجعل ما أصابهم تكفيراً لذنوبهم، ورفعاً لمنزلتهم، اللهم أسكنهم الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء، وصلى الله على نبينا محمد وسلم.

---

(١) رواه أحمد: (٣/٤٩٧ـ٤٩٨) والبخاري في الأدب المفرد (٣٥) وأبو داود (٥١٤٢) وابن ماجه (٣٦٦٤)، وضعفه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ .

الدرس السابع:

القــرآن العظيم

الحمد لله منزل الكتاب وهازم الأحزاب، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فلقد أكرم الله عز وجل هذه الأمة بالقرآن الذي فيه نبأ ما قبلها، وخبر ما بعدها، وحكم مابينها، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به ألسنة الضعفاء، ولا يشبع منه العلماء. لا يَخلَقُ عن كثرة الردّ ولا تنتهي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

وقد وصفه الله عز وجل بأوصاف عظيمة منها أنه هدى للمتقين ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ وهو هدى للناس ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾.

كما وصفه الله عز وجل بأنه روح تحيا به القلوب ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ وهو الذي يهدي للطريق المستقيم ويحمل البشارات العظيمة ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ۝١٠﴾.

وهو الفرقان والنذير ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾، كما وصفه الله عز وجل بأنه شفاء وهدى ورحمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

ونحن في هذه الأيام في شهر رمضان فقد ابتدأ نزول القرآن فيه، وكذلك فإن رمضان هو الذي أُنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، والثالثة: أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ في رمضان فيدارسه القرآن كل ليلة.

ورتَّب الله عز وجل الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن تعلم القرآن وعلمه، وجعلهم خيرة هذه الأمة. قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(١) وقال عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»(٢).

وقد تسابق المتسابقون لهذا الفضل العظيم والأجر الجزيل. وتطلَّعت النفوس إلى قراءته وحفظه وتطبيق أحكامه والعبرة بما فيه من قصص ومواعظ. فترك العلماء قراءة الحديث وتعليم العلم، وأقبلوا على المصحف وكان منهم من يختم كل ثلاث ليالٍ مرة، وبعضهم كل ليلتين مرة، وآخرون لهم في كل ليلة ختمة. **والسُّنة أن يختم القرآن في كل شهر مرة**(٣) **وإن استطاع ففي كل أسبوع مرة، بل إن استطاع ففي كل ثلاث ليال مرة**(٤).

وهذا القرآن سهلٌ قراءته، سريع حفظه، مُيَسَّرٌ فهمه، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾. وتأمل في حال الصغار وكيف يسره الله عليهم قراءة وتلاوة وحفظاً.

---

(١) رواه البخاري: (٥٠٢٧).

(٢) رواه الترمذي(٣٠٧٥ـ تحفة) وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

(٣) رواه البخاري: (٥٠٥٤) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) رواه أحمد: (٢/١٥٨) وأبو داود (١٣٩١).

فشمِّـــر ولُـــذْ بـــالله واحفـــظ كتـــابـــه
ففيـــه الهـــدى حقـــاً وللخير جـــامـــع
هـــو الـــذخـــر للملهـــوف والكنـــز والـــرجـــا
ومنـــه بـــلاشـــك تُنـــال المنـــافـــع
بـــه يهتـــدي مـــن تـــاه في معمـــة الهـــوى
بـــه يتسلى مـــن دهتـــه الفجـــائـــع

قال **ابن القيم**: هجر القرآن أنواع: هجرُ سماعه والإيمان به، وهجر العمل به، وهجرُ تحكيمه، وهجر تدبره، وهجر الاستشفاء به في أمراض القلوب والأبدان وهذا داخل في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾.

وقال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين.

ومن أحسن صحبة القرآن وتلاوته وتدبر معانيه وتطبيق أحكامه فإن القرآن يصحبه حتى يقوده إلى الجنة في درجاتها العالية، كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[1].

وإذا أردت ـ أخي القارىء ـ الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به مَنْ تكلم به، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

---

(١) رواه أبوداود (١٤٦٤) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (٨١٢٢).

قال **عثمان بن عفان** رضي الله عنه: لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم.

وقال **الحسن** ـ في نصيحة غالية ـ: يا ابن آدم والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك.

أما حال المنافقين والكسالى فإن حالهم كما قال **أوس بن عبدالله**: نقل الحجارة أهون على المنافق من قراءة القرآن.

فاحرص ـ أخي المسلم ـ على الاستفادة من أوقاتك وألزم نفسك الجد والمثابرة، ولو رتبت لنفسك قراءة جزأين أو ثلاثة بعد كل صلاة لقرأت خيراً عظيماً وإذا كانت قراءتك في المسجد فإن لك نصيباً من حديث الرسول ﷺ: «**المسجد بيت كل تقي، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة**»[1]. ولا تقتصر همتك على ذلك بل احرص أن تكون ذا همة عالية ممن يختم في كل ثلاث ليال أو أقل، فإن هذه أيام فاضلة كان السلف يستغلونها ويقرأون مثل ذلك وليكن لك قراءة في بيتك وطريقك، واحذر مصاحبة البطالين فارغي العقول والأوقات. وقد أوصى بعض السلف أصحابه فقال: إذا خرجتم من عندي فتفرقوا لعل أحدكم يقرأ القرآن في طريقه، ومتى تجمعتم تحدثتم.

وعلى كل من استرعاه الله على رعية أن يحثهم على قراءة القرآن، ويشجعهم على حفظه ويجعل لهم الجوائز القيمة والعطايا السنية ليفوز بالأجر العظيم وليكون له مثل أجورهم، فالدال على الخير كفاعله،

---

(١) رواه الطبراني: (٦/ ٢٥٤)(٦١٤٣). وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٣٢٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

ولتكن بيوتنا مثل بيوت سلف هذه الأمة لا تُسمع فيها إلا أصوات القرآن والذكر.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صُدورنا، وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا وسائقنا ودليلنا إلى جناتك جنات النعيم، اللهم أصلح نياتنا وذرياتنا، واغفر لنا وارحمنا ووالدينا وجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن:

الولاء والبراء

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن الولاء والبراء ركن من أركان العقيدة، وشرط من شروط الإيمان تغافل عنه كثير من الناس، وأهمله البعض، فاختلطت الأمور، وكثر المفرطون.

ومعنى **الولاء**: هو حب الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين ونصرتهم.

والبراء: هو بغض من خالف الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين من الكافرين والمشركين والمنافقين والمبتدعين والفساق.

فكل مؤمن موحد ملتزم للأوامر والنواهي الشرعية، تجب محبته وموالاته ونصرته. وكل من كان خلاف ذلك وجب التقرب إلي الله تعالى ببغضه ومعاداته وجهاده بالقلب واللسان بحسب القدرة والإمكان، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

والولاء والبراء أوثق عرى الإيمان، وهو من أعمال القلوب، لكن تظهر مقتضياته على اللسان والجوارح، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**من أحب لله، وأبغض لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**».[1]

ومنزلة عقيدة الولاء والبراء من الشرع عظيمة، ومنها:

---

(١) أخرجه أبوداود: (٤٦٨١) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (٥٩٦٥).

أولاً: أنها جزء من معنى الشهادة وهي قول: «**لا إله**» من «**لا إله إلا الله**» فإن معناها البراء من كل ما يعبد من دون الله.

ثانياً: أنها شرط في الإيمان كما قال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾.

ثالثاً: أن هذه العقيدة أوثق عرى الإيمان، لما روى أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»(١).

يقول **الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب** رحمهم الله: فهل يتم الدين أو يُقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله، والبغض في الله، والمعاداة في الله، والموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقاناً بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

رابعاً: أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان، ولذة اليقين، لما جاء عنه ﷺ أنه قال: «**ثلاث من وجدهن وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»(٢)

خامساً: أنها الصلة التي يقوم على أساسها المجتمع المسلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

سادساً: أنه بتحقيق هذه العقيدة تُنال ولاية الله، لما روى ابن عباس رضي

---

(١) مسند أحمد (٤/٢٨٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٣٩).

(٢) سبق تخريجه في ص ٣٢.

الله عنهما قال: «من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك».

سابعاً: أن عدم تحقيق هذه العقيدة قد يدخل في الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

ثامناً: أن كثرة ورودها في الكتاب والسنة يدل على أهميتها.

يقول **الشيخ حمد بن عتيق** رحمه الله: «فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد، وتحريم ضده».

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: «إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يواد إلا لله، ولا يُعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله».

ومن صور مولاة الكفار أمور شتى منها:

١- التشبه بهم في اللبس والكلام.

٢- الإقامة في بلادهم، وعدم الانتقال منها إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين.

٣- السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس.

٤- اتخاذهم بطانة ومستشارين.

٥- التأريخ بتاريخهم خصوصاً التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي.

٦- التسمي بأسمائهم.

٧- مشاركتهم في أعيادهم، أو مساعدتهم في إقامتها، أو تهنئتهم بمناسبتها، أو حضور إقامتها.

٨- مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم، دون نظر إلى عقائدهم الباطلة، ودينهم الفاسد.

٩- الاستغفار لهم، والترحم عليهم.

قال **أبو الوفاء بن عقيل**: «إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة، عاش ابن الراوندي والمعري ـ عليهما لعائن الله ـ ينظمون وينثرون كفراً، وعاشوا سنين، وعظمت قبورهم، واشتريت تصانيفهم، وهذا يدل على برودة الدين في القلب».

وعلى المسلم أن يحذر من أصحاب البدع والأهواء الذين امتلأت بهم الأرض، وليتجنب الكفار وما يبثون من شبه وشهوات، وليعتصم بحبل الله المتين وسنة نبيه الكريم. وعلى المسلم أن يفطِن إلى الفرق بين حسن التعامل والإحسان إلى أهل الذمة وبين بُغضهم وعدم محبتهم. ويتعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر. ومن برهم لتقبل دعوتنا: الرفق بضعيفهم، وإطعام جائعهم، وكسوة عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف معهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، والدعاء لهم بالهداية، وينبغي أن نستحضر في قلوبنا ما جُبلوا عليه من بغضنا، وتكذيب نبينا محمد ﷺ.

اللهم وفقنا للعمل بكتابك وسنة نبيك ﷺ والسير على هداهما وحب الله ورسوله والمؤمنين وموالاتهم، وبغض الكفار والمشركين ومعاداتهم.

اللهم اجعلنا ممن ينصر هذا الدين ويدافع عنه. اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع:

قيمة الوقت في حياة المسلم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، والصلاة والسلام على البشير النذير، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن رأس مال المسلم في هذه الدنيا هو الوقت الذي هو مادة الحياة. والوقت أنفس من المال وأغلى، أرأيت لو أن محتضراً وضع أمواله جميعاً ليُزاد في عمره يومٌ واحد هل يحصل له ذلك التمديد وتلك الزيادة؟!.

ولعظم أهمية الوقت فقد أقسم الله به عز وجل في آيات كثيرة من كتابه الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

فأقسم جل وعلا بالعصر، وهو الدهر الذي هو زمن تحصيل الأرباح والأعمال الصالحة للمؤمنين، وزمن الشقاء للمعرضين، ولما فيه من العبر والعجائب للناظرين.

ويقول عز وجل في بيان هذه النعم العظيمة التي هي من أصول النعم: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢﴾.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من**

أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ**»[٢].

أخي المسلم:

من رأي حال الناس اليوم مع الوقت يكون جواب تَعجُّبه أننا خُلقنا لنأكل ونشرب، ونتمتع ونلعب، ونلهو، ونبني الدور والقصور.. وهذا هو واقع الكثير.. وحينئذ يشتركون في هذه الأهداف الدنيوية مع البهائم والكفار الذين همهم في الحياة الأكل والشرب والتمتع بملاذ الدنيا حلالاً كانت أم حرماً، والله عز وجل خلقنا لأمر عظيم حدد الإجابة فيه بآية كريم فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

قال **الإمام النووي**: «وهذا تصريح بأنهم خُلقوا للعبادة، فحقَّ عليهم الاعتناء بما خُلقوا له، والإعراض عن حُظوظ الدنيا بالزهادة، فإنها دار نفاد لا محل إخلاد، ومركب عبورٍ لا منزل حبور، ومُشرع انفصام لا موطن دوامٍ».

والرسول ﷺ يقول: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شُغلك، وحياتك قبل موتك**»[٣].

وعمر الإنسان هو موسم الزرع في هذه الدنيا، والحصاد هناك في

---

(١) رواه الترمذي: (٢٥٣٢) (تحفة الأحوذي) من حديث أبي بزرة الأسلمي، وقال: «حسن صحيح».

(٢) رواه البخاري: (٦٤١٢) كتاب الرقاق، باب ماجاء في الرقاق.

(٣) رواه الحاكم (٤/٣٠٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧).

الآخرة، فلا يحسن بالمسلم أن يضيع أوقاته وينفق رأس ماله فيما لا فائدة فيه.

ومن جَهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حين يعرف فيه قدره ونفاسته وقيمة العمل فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته حيث لا ينفع الندم:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار، حيث يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلة من الزمن، وأُخِّر إلى أجل قريب ليصلح ما أفسده ويتدارك ما فات.

الموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوَفَّى كل نفس ما عملت وتُجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، ليبدأوا من جديد عملاً صالحاً.

هيهات هيهات لما يطلبون فقد انتهى زمن العمل وجاء زمن الجزاء.

أخي المسلم:

الزمن كالمال كلاهما يجب الحرص عليه والاقتصاد في إنفاقه وتدبير أمره، وإن كان المال يمكن جمعه وإدخاره بل وتنميته فإن الزمن عكس ذلك؛ فكل دقيقة ولحظة ذهبت لن تعود إليك أبداً ولو أنفقت أموال الدنيا أجمع.

وإذا كان الزمن مقدراً بأجل معين وعمر محدد لا يمكن أن يُقدم أو يُؤخر، وكانت قيمته في حُسن إنفاقه ـ وجب على كل إنسان أن يحافظ عليه ويستعمله أحسن استعمال ولا يفرط في شيء منه قلَّ أو كثر.

ولكي يحافظ الإنسان على وقته يجب أن يعرف أين يصرفه؟ وكيف يصرفه؟ وأعظم المصارف وأجلها طاعة الله عز وجل، فكل زمن أنفقته في تلك الطاعة لن تندم عليه أبداً.

قال الحسن: من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه خذلاناً من الله عز وجل.

وقال **أبوحازم**: إن بضاعة الآخرة كاسدة يوشك أن تنفق فلا يوصل منها إلى قليل ولا كثير، ومتي حيل بين الإنسان والعمل، لم يبق له إلا الحسرة والأسف عليه ويتمنى الرجوع إلى حال يتمكن فيها من العمل فلا تنفعه.

وينبغي للمؤمن أن يتخذ من مرور الليالي والأيام عبرة لنفسه، فإن الليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويطويان الأعمار، ويشيبان الصغار، ويفنيان الكبار.

ألم تـــــر أن اليـــــوم أسرعُ ذاهـــــب
وأن غـــداً للنـــاظـــريـــن قـــريـــبُ

سأل **الفضيل بن عياض** رجلاً فقال له: كم أتت عليك؟ قال: ستون! قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك، توشك أن تبلغ. فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون!

فقال الفضيل: أتعرف تفسيره تقول: ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ!! فمن عرف أنه لله عبد، إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول، فليُعدَّ للسؤال جواباً. فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة! قال: ما هي؟ قال: تُحسن فيما بقي يُغفر لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي.

وإذا كان هذا القول لمن قاربت سنة الستين، فللشباب قول **الحسن** رحمه الله لأصحابه: يامعشر الشيوخ، ماذ ينتظر بالزرع إذا بلغ؟ قالوا: الحصاد. قال: يا معشر الشباب، إن الزرع قد تدركه العاهة قبل أن يبلغ.

أخـي المسـلم:

إن وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مرَّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس

محسوباً من حياته وإلا عاش فيه عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته.

قال **بلال بن سعد**: يُقال لأحدنا: تريد أن تموت؟ فيقول: لا، فيقال له: لم؟ فيقول: حتى أتوب وأعمل صالحاً، فيقال له: اعمل، فيقول: سوف أعمل، فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل، فيؤخر عمل الله تعالى ولا يؤخر عمل الدنيا.

أخي المسلم:

استثمر وقتك ولا تضيع دقيقة منه، ولا تكن كمن إذا جاءه هادم اللذات ومفرق الجماعات قال: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩﴾ ولماذا يعود ويرجع هل ليبني داره ويؤثث مسكنه؟! ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾

ولكن الرجعة مستحيلة والعود بعيد! فاعمل ـ أخي المسلم ـ لهذا اليوم واستعد له، واعلم أنه لن يصوم عنك أحد، ولن يصلي عنك أحد، فاعمل لنفسك.

جعلني الله وإياك ووالدينا في روضات الجنات، وبارك في أعمالنا وأعمارنا وأوقاتنا، اللهم اجعل خير أعمالنا آخرها، وخير أعمارنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك. ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس العاشر:

نواقض الإسلام

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذَّكَّر أو أراد شكوراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فاعلم أيها المسلم أن الله سبحانه، أوجب على جميع العباد الدخول في الإسلام، والتمسك به والحذر مما يخالفه، وبعث نبيه محمداً ﷺ للدعوة إلى ذلك، وأخبر عز وجل أن من اتبعه فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد ضل، وحذر في آيات كثيرات من أسباب الردة، وسائر أنواع الشرك والكفر، وذكر العلماء رحمهم الله في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض، التي تحل دمه وماله ويكون بها خارجاً من الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً عشرة نواقض ذكرها الشيخ الإمام **محمد بن عبدالوهاب** وغيره من أهل العلم رحمهم الله جميعاً، ونذكرها لك فيما يلي على سبيل الإيجاز لتحذرها وتُحذِّر منها غيرك، رجاء السلامة والعافية منها.

الأول: من النواقض العشرة: الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ ومن ذلك: دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر والذبح لهم.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

الثالث: من لم يُكفِّر المشركين أو شكَّ في كفرهم، أو صحَّح مذهبهم كفر، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾. وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حَرُمَ ماله ودمه، وحسابه على الله**»[1].

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر. ومن اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يُحصر في علاقة المرء بربه، دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى. ويدخل في الرابع أيضاً من يرى أن إنفاذ

---

(١) رواه مسلم: (٢٣) كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن، لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة، لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله، فهو كافر بإجماع المسلمين.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾.

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

العاشر: الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره.

وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل. اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ وعبادك الصالحون، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيك محمد ﷺ وعبادك الصالحون. اللهم آت نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير مَنْ زكاها أنت وليها ومولاها. اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً ونحن نعلم، ونستغفرك لما نعلم. ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

الدرس الحادي عشر:

الخلفاء الراشدون

الحمد لله الذي فضل من شاء من عباده، ورفع في الجنة منازل أحبابه، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد**:

فإن قراءة سير الصحابة والاقتداء بهم، نهجٌ غفل عنه البعض وطواه النسيان عند آخرين. ومعرفة سيرتهم وفضائلهم سببٌ لمحبتهم وتقرب إلى الله بذلك، وقد قال الرسول ﷺ: «**المرء مع من أحب**»(١). ويتأكد الفضل والخير في الخلفاء الأربعة لسابقتهم في الإسلام وبلائهم وجهادهم، عن مسروق أنه قال: حُب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة، وقيل للحسن: حب أبي بكر وعمر من السنة؟ قال: لا، بل فريضة.

وقد ذكر **ابن الجوزي** أن السلف كانوا يُعلِّمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمونهم السور من القرآن. وعلى هذا يتأكد بيان علم الصحابة ودينهم وفضائلهم.

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: وأما الخلفاء الراشدون والصحابة فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان والإسلام والقرآن والعلم والمعارف والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وانتصارهم على الكفار وعلو كلمة الله، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة الذين بلَّغوا الدين وجاهدوا في سبيل الله. وكل مؤمن آمن بالله، فللصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الفضل إلى يوم القيامة، وخير الصحابة تبع لخير الخلفاء الراشدين، فهم كانوا أقوم بكل خير في الدنيا والدين من سائر الصحابة، كانوا والله أفضل هذه

---

(١) رواه مسلم: (٢٦٤٠) كتاب البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب.

الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. وقد أثنى الله عليهم هو ورسوله ورضي عنهم وأعد لهم الحسنى في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير القرون القرن الذي جئت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(١). ومن أفضل الصحابة وأجلِّهم، وأكثرهم نفعاً للأمة الخلفاء الراشدون، وسنتحدث عنهم بإيجاز سريع:

أولاً: أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

هو عبدالله بن عثمان بن عامر بن كعب ويجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب، وكنيته أبوبكر، وعثمان هو اسم أبي قحافة، ولد أبوبكر بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر. وكان تاجراً جمع الأموال العظيمة التي نفع الله بها الإسلام حين أنفقها، وهو أول من أسلم من الرجال. وقد وصفه الرسول ﷺ بالصديق، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**صعد رسول الله ﷺ أحداً**

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣).

ومعه أبوبكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: اثبت أُحد، فإنما عليك نبي وصدِّيق وشهيدان»[١].

وأبوبكر رضي الله عنه أول من دعا إلى الله من الصحابة فأسلم على يديه أكابر الصحابة، ومنهم عثمان بن عفان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وأبوعبيدة رضي الله عنهم أجمعين.

وقد قال عنه الرسول ﷺ: «**إن من أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وذات يده أبوبكر**»[٢]. وكان رسول الله ﷺ يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر**» فبكى أبوبكر وقال: «وهل أنا ومالي إلا لك يارسول الله؟»[٣]. وإنفاق أبي بكر هذا كان لإقامة الدين والقيام بالدعوة فقد أعتق بلالاً وعامر بن فهيرة وغيرهما كثير.

وفي الترمذي وسنن أبي داود عن عمر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال النبي ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقلت: مثله، وأتى أبوبكر بكل ما عنده، فقال: «**يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقه إلى شيء أبداً[٤].

وكانت أحب نساء الرسول ﷺ إليه عائشة ابنة الصديق رضي الله عنهما.

ولأبي بكر ذروة سنام الصحبة وأعلاها مرتبة فإنه صحب الرسول ﷺ من حين بعثه الله إلى أن مات، فقد صحبه في أشد أوقات الصحبة، ولم يسبقه

---

(١) رواه البخاري: (٣٦٧٥).
(٢) أخرجه البخاري: (٣٦٥٤).
(٣) رواه أحمد: (٢/ ٢٥٣).
(٤) رواه أبوداود (١٦٧٨) والترمذي (٣٩٢١ ـ تحفة) وقال: «حديث حسن صحيح».

أحد فيها، فقد هاجر معه واختبأ معه في الغار، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ والصديق رضي الله عنه أتقى الأمة بدلالة الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾﴾.

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنها نزلت في أبي بكر.

ولأبي بكر من الفضائل والخصائص التي ميزه الله بها عن غيره كثير، منها: أنه أزهد الصحابة، وأشجع الناس بعد رسول الله ﷺ، وأنه أحب الخلق إلى رسول الله ﷺ، ولم يسؤهُ قط، وهو أفضل الأمة بعد النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهو أول من يدخل الجنة كما روى أبوداود في سننه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «**أما إنك يا أبابكر أول من يدخل الجنة من أمتي**»[1] وهو أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ.. وتأمل في خصال اجتمعت فيه في يوم واحد: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**من أصبح منكم اليوم صائماً؟** فقال: أبوبكر: أنا، قال: **فمن تبع منكم اليوم جنازة؟** فقال أبوبكر: أنا، قال: **هل فيكم من عاد مريضاً؟** قال أبوبكر: أنا. **قال: هل فيكم من تصدق بصدقة؟** فقال أبوبكر: أنا. قال: **ما اجتمعن في امرئٍ إلا دخل الجنة**»[2].

وكما كتب الله لأبي بكر رضي الله عنه أن يكون مع الرسول ثاني اثنين في الإسلام، فقد كتب له أن يكون ثاني اثنين في غار ثور، وأن يكون ثاني اثنين في العريش الذي نُصب للرسول ﷺ في يوم بدر.

---

(١) رواه أبوداود: (٤٦٥٢).

ولعلم الصحابة بمكانه وقربه من الرسول وفضله وسابقة إسلامه فقد بايعوه بعد وفاة الرسول ﷺ بالخلافة، وقد كان أمر وفاة الرسول ﷺ ذا حزن وفزع وصدمة عنيفة، وقف لها أبوبكر ليعلن للناس في إيمان عميق قائلاً: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا على الناس قول الله عز وجل لرسوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

وتمت البيعة بإجماع من المهاجرين والأنصار. وقد كانت سياسته العامة والخاصة خير للإسلام والمسلمين والناس كافة، أوجزها في كلمة قالها خطيباً في مسجد رسول الله ﷺ بعد أخذ البيعة قال: «أيها الناس، إني قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

وهي خطبة شاملة جامعة أتبعها بالعمل لخدمة هذا الدين ونشره، فأنفذ جيش أسامة بن زيد، وبلغ من تكريم أبي بكر لهذا الجيش الذي جهزه الرسول ﷺ أن سار في توديعه ماشياً على قدميه وأسامة راكب، وقد أوصى الجيش بوصية عظيمة فيها تعاليم الإسلام ومبادئه السمحة.

ثم قام أبوبكر بعمل عظيم لا ينهض له إلا الرجال الموفَّقون، فقد وقف للردة التي وقعت بعد وفاة الرسول ﷺ موقفاً لا هوادة فيه ولا ليونة، وقال كلمته المشهورة: «والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلا والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها».

ولما يسر الله عز وجل القضاء على المرتدين انطلقت عينا أبي بكر خارج الجزيرة العربية رغبة في نشر هذا الدين وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فوجَّه الجيوش إلى الجهاد في أرض فارس والروم وجعل على قائد جبهة الفرس خالد بن الوليد رضي الله عنه، وعلى قائد جبهة الروم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه. وكانت أولى المواقع العظيمة موقعة اليرموك التي فتح الله فيها للمسلمين أرض الروم وما وراءها.

ومن أجلِّ أعمال أبي بكر رضي الله عنه جمع القرآن الكريم، وقد عهد بذلك إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقام بالأمر حتى كتب المصحف في صحف جمعت كلها ووضعت عند أبي بكر، حتى انتقلت من بعده إلى عمر، ثم إلى عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

مرض أبوبكر رضي الله عنه وتوفي في جمادى الآخر سنة ١٣هـ ودفن بجوار الرسول ﷺ وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وعَهِد للخلافة من بعده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

اللهم ارض عن أبي بكر واجزه الجزاء الأوفى جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين.[1]

ثانياً: عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

هو أبو حفص، عمر بن الخطاب، لقبه الرسول بالفاروق يوم إسلامه، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة. ولد في مكة قبل الهجرة بأربعين سنة، ونشأ في بيت اشتهر بالسيادة والشرف، وتربى على الصدق والأمانة والجرأة في قول الحق، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وقد أسلم فكان إسلامه نصراً للمسلمين ومبدأ عهد جديد للجهاد في سبيل إعلاء

---

(١) من أول الموضوع إلى هنا نقلته من كتاب: «أبوبكر أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة»، لفضيلة الشيخ محمد بن عبدالرحمن القاسم ـ رحمه الله رحمة واسعة.

كلمة الدين. وهو صهر رسول الله ﷺ وأبو أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها. صحب عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فأحسن صحبته، وهو من أوائل من هاجر إلى المدينة وشهد مع رسول الله ﷺ كثيراً من غزواته وكان ممن ثبت معه في غزوة أحد وغزوة حنين. وكان رضي الله عنه يرى الرأي أحياناً فينزل به القرآن وقد مدحه الرسول ﷺ بقوله: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»[1] وهو الفاروق، فرق الله به بين الحق والباطل.

وعهد إليه أبوبكر رضي الله عنه بالخلافة من بعده، بعد أن استشار كبار الصحابة والمهاجرين، وكانت خلافة عمر فتحاً للمسلمين فسجل أروع الآثار في تاريخ الإسلام فتوحاً وعدلاً وحكمة وزهداً وورعاً. واستمر في نهج أبي بكر وأبقى رايات الجهاد مرفوعة في بلاد فارس والروم حتى كانت موقعة القادسية في سنة ١٤ للهجرة وأطاح القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه برستم قائد الفرس، وواصل المسلمون فتح الأمصار والمدن حتى فتح الله لهم المدائن في شهر صفر سنة ١٦هـ بعد حصار دام شهرين وبهذا سقطت عاصمة دولة الفرس، وأرسل سعد بن أبي وقاص إلى عمر رضي الله عنهما كنوز كسرى وسواريْه وبساطه بذهبه وفضته، فدعا بسراقة بن مالك وألبسه سواري كسرى وقال: الحمد لله، سوارا كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك أعرابي من مدلج، وهو بهذا يشير إلى وعد الرسول ﷺ لسراقة حينما قال له وهوه مهاجر إلى المدينة مع أبي بكر وقال له وهو ينظر إلى ذراعيه: «**كأني بك يا سراقة وقد لبست سواري كسرى**» فتحقق وعده ﷺ وهذه من معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام. ثم سار الجيش المسلم بقيادة النعمان بن مقرن رضي الله عنه لملاحقة فلول الفرس، حتى التقى الجمعان في معركة نهاوند وتسمى فتح

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٩٥) والترمذي (٣٩٢٩) تحفة الأحوذي ـ وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣٦).

الفتوح سنة ٢١ للهجرة. وكبَّر النعمان رضي الله عنه التكبيرة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة التي انطلق بعدها أهل الجهاد يدكون حصون الكفر. وهكذا تمزق ملك كسرى في مدة وجيزة وكان ذلك استجابة من الله تعالى لدعاء نبيه ﷺ حينما علم أن كسرى مزق رسالته التي أرسلها إليه.

وفي عهد عمر رضي الله عنه كان للشام نصيب من رايات الجهاد بقيادة الصحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه أمين هذه الأمة حيث فتح الله على يديه بيت المقدس، ثم فُتحت مصر على يد القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وامتد الفتح الإسلامي ليشمل برقة وطرابلس الغرب وأذربيجان ونهاوند وجرجان. وقد بُنيت البصرة والكوفة في عهده وأرَّخ بالهجرة، ودوَّن الدواوين، وصلى بالناس التراويح.

وفي نهاية مدة خلافته التي استمرت عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام دعا الله عز وجل: «اللهم إني أسألك الشهادة في سبيلك، وموتاً في بلد رسولك ﷺ» فاستجاب الله دعاءه وجمع له بين الأمرين، فكان استشهاده على يد أبي لؤلؤة المجوسي الذي ترصَّد له في صلاة الفجر في مسجد رسول الله ﷺ وهو قائم يُصلي في المحراب فتسلل بين الصفوف وفي يده خنجر له رأسان فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سُـرَّته وهي التي قتلته. ثم حملوه إلى داره والدم يسيل من جرحه، فجعل يفيق ثم يغمى عليه، ثم يُذكرونه بالصلاة فيفيق، ويقول: «نعم، ولا حظَّ في الإسلام لمن تركها»، ثم صلى في الوقت، وعندما علم أن الذي قتله المجوسي قال: «الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل سجد لله سجدة واحدة».

وتوفي رضي الله عنه ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ للهجرة ودفن بجوار الرسول ﷺ وأبي بكر الصديق. وكان مقتله رضي الله عنه امتداداً للحقد المجوسي واليهودي على دولة الإسلام الفَتِيَّة والذي نراه لا يزال

مستمراً إلى يومنا هذا. . فالصراع بين الحق والباطل قائم إلى قيام الساعة.

وصدق الرسول ﷺ حيث قال: «**اثبت أُحُد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان**»[1]. فالصديق أبوبكر، والشهيدان: عمر، وعثمان، رضي الله عنهم أجمعين.

ثالثاً: عثمان بن عفان رضي الله عنه:

هو ذو النورين، وصاحب الهجرتين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أحد الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم، وهو أحد حفظة كتاب الله عز وجل.

ولد بالطائف بعد ولادة الرسول ﷺ بخمس سنين، ونشأ في سعة من الرزق، إذ كان أبوه صاحب تجارة واسعة. وقد أسلم رضي الله عنه على يد أبي بكر، وكان خامس خمسة آمنوا بالإسلام، وقد أحبه الرسول ﷺ وزوَّجه من ابنته رقية رضي الله عنها، ولما ماتت زوَّجه ابنته الثانية أم كلثوم رضي الله عنها وبقيت معه إلى أن توفيت، ومن أجل ذلك سمي ذا النورين.

وقد هاجر رضي الله عنه إلى الحبشة غير مهتم بما تتعرض له تجارته من كساد، ثم هاجر إلى المدينة ولحق بالرسول ﷺ فسمي كذلك ذا الهجرتين، وعُدَّ من المشاركين في غزوة بدر لأنه تخلف عنها بإذن رسول الله ﷺ لتمريض زوجته رقية فضرب له بسهم.

وكان لعثمان بن عفان رضي الله عنه نصيب الأسد في رفع راية هذا الدين بنفسه وبماله وجهز في غزوة العسرة (غزوة تبوك) تسعمائة بعير وخمسين فرساً وحمل ألف دينار في كُمِّه ونثرها في حجر رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما ضَّر عثمان ما عمل بعد اليوم**»[2]. ومن مآثره رضي الله عنه أنه

---

(١) رواه البخاري: (٣٦٧٥).

(٢) رواه الترمذي: (٣٩٤٩ ـ تحفة) وقال: «حديث حسن غريب».

اشترى بئر رومة بعشرين ألف درهم، وكانت ليهودي يبيع ماءها للمسلمين ولم يكن بالمدينة ماء عذب غيرها، فاشتراها عثمان وجعلها للمسلمين.

ولما طُعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيد أبي لؤلؤة المجوسي عهد إلى ستة رجال من كبار الصحابة هم: علي، وعثمان، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله رضي الله عنهم أجمعين، وطلب إليهم أن يجتمعوا بعد وفاته ليختاروا واحداً منهم، ووقع اختيار الجميع على عثمان رضي الله عنه لما عرفوا من فضله وأسبقيته، فبايعه المسلمون وأصبح الخليفة الثالث. ومما نهض به من الأعمال العظيمة أن جمع الناس على مصحف واحد بقراءة واحدة وأرسل نسخاً من هذا المصحف إلى الأمصار، وفي عهده استمرت الفتوح في أفريقية وآسيا وأصبحت راية التوحيد ترفرف على شمالي أفريقية ومنطقة واسعة في غربي آسيا، وبسط المسلمون سلطانهم على جزيرة قبرص التي غزاها المسلمون بقيادة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وكان ذلك أول جهاد في البحر. وأتم الله للمسلمين النصر في معركة ذات الصواري بين المسلمين بقيادة عبدالله بن أبي السرح وبين الروم. وسعدت الأمة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه برغد العيش وسعة الرزق.

وفي وسط هذا الاستقرار وتلك النعم العظيمة سعى أعداء الإسلام إلى محاولة تقويض ركائزه وقتل خلفائه مثل مافعلوا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكن الله أبطل كيدهم. فحرَّضوا عوامَّ الناس وسار معهم المنافقون والمرجفون وأخذوا يدسون الكذب على عثمان رضي الله عنه ويتهمونه زوراً وظلماً، حتى تجمعوا على حين غفلة وتسوَّروا داره وقتلوه شهيداً صابراً محتسباً صائماً، ومضى إلى ربه يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥للهجرة وكانت مدة خلافته رضي الله عنه حوالي اثني عشر عاماً. رضي الله عنه.

رابعاً: علي بن أبي طالب: رضي الله عنه:

هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

ولد قبل البعثة بعشرة أعوام، وهو أول من أسلم من الصبيان، ونام في فراش رسول الله ﷺ ليلة الهجرة وتغطى ببردته ليضلل المشركين.

واشتهر بالشجاعة والبطولة والجهاد في سبيل الله وقد تبارز في غزوة الأحزاب مع صنديد من صناديد العرب وفارس من فرسانهم هو عمرو بن عبدود فقضى عليه بعد عدة محاولات، وقد شهد علي رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها عدا غزوة تبوك فإن الرسول ﷺ خلفه فيها على أهل بيته وقال: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي**»[(١)].

وفي الصحيحين[(٢)] قال ﷺ: «**لأعطين الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه**» فلما أصبح الرسول ﷺ غدوا، كلهم يرجو أن يُعطاها، حتى قال عمر: ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فجاء علي، فأعطاه الرسول ﷺ الراية.

ومع فضله رضي الله عنه إلا أنه لم يكن يرى أفضليته على أبي بكر وعمر، بل كان يعترف بفضلهما عليه، روى ابن حجر رحمه الله في (لسان الميزان) عنه قوله رضي الله عنه بعد أن سمع بناسٍ يفضلونه على الشيخين: «ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري»[(٣)] رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) رواه مسلم: (٢٤٠٤) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه.

(٢) البخاري: (٣٧٠١) ومسلم: (٢٤٠٦).

(٣) اللسان (٣/ ٢٨٩)، والأثر رواه ابن أبي عاصم في السنة(٢/ ٥٧٥) وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٥٦٢) والبيهقي في الاعتقاد(١/ ٣٥٨).

وكانت البيعة له بالخلافة بعد أن قُتل عثمان رضي الله عنه وذلك بعد إلحاح من المسلمين فكانت البيعة له.

وهناك أحداث جرت بين الصحابة نقول فيها ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من مذهب أهل السنة والجماعة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم ووجبت موالاتهم ومحبتهم».

ووقعت في عهد علي رضي الله عنه معركة الجمل التي أشعلها السبئيون وأشياعهم، وتلتها معركة صفين.

وكانت هناك معركة عظيمة وقعت في النهروان بين علي رضي الله عنه والخوارج. وانتهت بأن بيَّت أحد الخوارج وهو عبدالرحمن بن ملجم قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وحمل عليه في الكوفة وهو ينادي لصلاة الفجر ويقول: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فعاجله عبدالرحمن بن ملجم فضربه بالسيف على مقدم رأسه، وكان عمره رضي الله عنه ثلاثاً وستين، ومدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر واثنان وعشرون يوماً. رضي الله عنه وأرضاه.

اللهم ارزقنا حب صحابة رسولك ﷺ وإكرامهم وإجلالهم والدفاع عنهم، اللهم ترضَّ عمَّن ترضَّى عنهم، وأهلك من لعنهم وعاداهم، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وانصر عبادك الموحدين، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني عشر:

آفات اللسان

الحمد لله كثيراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة، فهو صغير جرمه، عظيم طاعته وجُرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان.

فبهذا المخلوق الصغير يُعبر الإنسان عن بغيته، ويفصح عن مشاعره، به يطلب حاجته، ويدافع عن نفسه، ويعبر عن مكنون فؤاده.. يُحادث جليسه ويؤانس رفيقه، وبه السقطة والدنو، والرفعة والعلو.

واللسان رحب الميدان، ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى وحدّ، له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلقه عذبه اللسان، ومن أهمله مُرخى العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هارٍ إلى أن يضطره إلى دار البوار، ولا يكبُّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع.

وينبغي لكل مُكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام: إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنّة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء. وفي اللسان آفتان عظيمتان إن خلص من أحدهما لم يخلص من الأخرى: **آفة الكلام، وآفة السكوت**، وقد يكون كل منهما أعظم من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاصٍ لله مُراءٍ مداهن إذ لم يخف

على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص لله. وكثرة آفات اللسان في الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة وإيذاء الخلق وهتك العورات وغيرها. وفي لزوم السكوت جمع الهمم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا والآخرة.

وليحذر المؤمن من تلك الآفات فإنه محاسب ومجازى ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

ومن الأحاديث ما رواه أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»(١).

وجعل من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقال عليه الصلاة والسلام: «**مِنْ حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه**»(٢).

وحين سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل النار؟ قال: «**الفم والفرج**»(٣).

وانظر ـ أخي الكريم ـ إلى عظم الأمر وخطورة اللسان والكلام الذي يصدر منه فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يَزلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**»(٤).

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ وكأنه ينظر إلى واقع البعض اليوم ـ:

---

(١) رواه البخاري: (٦٠١٨) ومسلم: (٤٧).

(٢) رواه الترمذي(٢٤١٩ ـ تحفة) وقال: «حديث غريب»، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (٥٩١١).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٠٤) وقال: «صحيح غريب»، رواه ابن ماجه(٤٢٤٦) وحسنه الألباني في الأدب المفرد(٢٩٤).

(٤) رواه البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨)(٥٠) واللفظ له.

ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يُلقي لها بالاً، يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل مُتورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول.

قال **عطاء بن أبي رباح**: إن من كان قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك التي لابد منها، أتنكرون أن عليكم حافظين، كراماً كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم لو نُشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره، وليس فيها شيء من أمر آخرته.

أخي المسلم:

من أشد أمراض اللسان انتشاراً: الغيبة، وهي ذكرك أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه، بل حتى في ثوبه وداره ومركبه.

والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل والنصيحة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

وقد أبان رسول الله ﷺ الغيبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما**

تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[١].

وبهذا يبين ﷺ الفرق بين الغيبة والبهتان، وأن الكذب عليه بهتانٌ له، فالكذب على الشخص حرام سواء كان الرجل مسلماً أو كافراً، براً أو فاجراً، لكن الافتراء على المؤمن أشد، بل الكذب كله حرام.

والغيبة تعدٍّ على أعراض المسلمين، والنبي ﷺ قال محذراً من ذلك: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم**»[٢].

وقال في الحديث الآخر: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»[٣]. جمع النبي ﷺ في حديث واحد حرمة المال والدم والعرض.

يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ واصفاً مرضى النفوس والقلوب فارغي الفكر والعقل ممن أغواهم الشيطان ـ: «إن بعض الناس لا تراه إلا منتقداً داءً ينسى حسنات الطوائف والأجناس، ويذكر مثالبهم، فهو مثل الذباب يترك موضع البرء والسلامة، ويقع على الجرح والأذى، وهذا من رداءة النفوس وفساد المزاج».

فاحذر الغيبة واجتنبها قولاً وسماعاً، فإنها كما قال علي بن الحسن: إدام كلاب الناس!

والغيبة ـ أخي المسلم ـ ليست مقتصرة على اللسان فحسب، بل بالفعل والإشارة والغمز والهمز والكتابة والحركة، وكل ما يُفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وحرام. واحرص على أن تذبَّ عن أعراض المسلمين في المجالس والمحافل فقد قال ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[٤].

---

(١) رواه مسلم: (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الغيبة.

(٢) رواه البخاري (٦٧) ومسلم (١٦٧٩).

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٤) رواه الترمذي: (١٩٩٦) تحفة ـ وقال: «حديث حسن» =

أخي المسلم:

مما شاع بين الناس وفي بعض المجالس السخرية والاستهزاء، وهو محرم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾.

ومعنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص، وقد يكون ذلك في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء.

وأشد أنواع الاستهزاء: الاستهزاء بالدين وأهله، ولخطورته وعظم أمره فقد أجمع العلماء على أن الاستهزاء بالله وبدينه وبرسوله كفر بواح يُخرج من الملة بالكلية.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: «إن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر صاحبه بعد إيمانه».

ولقد تفنن البعض في أنواع السخرية والاستهزاء، فهناك من يهزأ بالحجاب، وآخر بتنفيذ الأحكام الشرعية، وآخرون سلقوا رجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بألسنتهم، كما أن للسنة أيضاً نصيباً من ذلك الاستهزاء، فهذا يستهزىء باللحية، والآخر بقصر الثوب، وهما من سنن المصطفى ﷺ.

ولنعلم خطورة الاستهزاء على دين الرجل ما نسمعه يُتلى في سورة التوبة: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾.

وقد ورد في سبب نزولها أن رجلاً من المنافقين قال: ما أرى قراءنا

= وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٦٢).

هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء، فرفع ذلك إلى الرسول ﷺ فجاء إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فقال: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

وقد فضح الله عز وجل موقف المستهزئين بالمؤمنين وأهل الخير والصلاح فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾.

والبعض إذا قيل له: إن ما تقوله من باب الاستهزاء بالدين، قال: نحن لم نقصد الدين، ولم نقصد الرجل بذاته، بل نمزح ونمرح، وما علم المسكين إلى أين يؤدي مرحه ومزحه. . إنه خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة.

وقد حذر الرسول ﷺ من فلتات اللسان وضحكات المجالس ـ فقال عليه الصلاة والسلام: «**ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له ويل له**»[1].

وفي جواب اللجنة الدائمة للإفتاء على من قال لآخر: «**يا لحية**» مستهزئاً: إن الاستهزاء باللحية منكر عظيم فإن قصد القائل بقوله: «يالحية» السخرية **فذلك كفر**، وإن قصد التعريف فليس بكفر ولا ينبغي أن يدعوه بذلك.

وقال سماحة الشيخ **محمد بن إبراهيم** رحمه الله: ومن الناس ديدنه تتبُّع أهل العلم لقيهم أو لم يلقهم مثل قوله: المطاوعة كذا وكذا، فهذا يخشى أن يكون مرتداً، ولا ينقم عليهم إلا أنهم أهل الطاعة.

ونختم هذا المجلس المبارك بحديث الرسول ﷺ الذي نجعله فوق رؤوسنا حباً وكرامة، وأمام أعيننا تطبيقاً وعملاً. قال الرسول ﷺ لأصحابه:

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٥و٧) وأبوداود (٤٩٩٠) والترمذي (٢٤١٧ ـ تحفة) وقال: «حديث حسن»، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧١٣٦).

«**أتدرون ما المفلس**»؟ قالوا: إن المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال ﷺ: «**المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار**»[(١)].

اللهم نزِّه ألسنتنا عما يشين، وسخرها في طاعتك. اللهم أصلح أحوال المسلمين، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم: (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم.

الدرس الثالث عشر:

الخـــوف من الله

الحمد لله ملاذ الخائفين ومُنجي المتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لقد نثر طول الأمل رداءه على البعض، فأصبح الكثير من الناس يتهاون في الطاعات ويقترف المحرمات، وأمسى التسويف حاجزاً عن التوبة، والفرح بهذه الدنيا ونعيمها مُنسياً لما أمامهم من الأهوال والعقبات. فلم يطرق الخوف قلوبهم ولم يلازم الوجل نفوسهم، فانهمكوا في الفرح والترح، وكأنهم مخلدون في هذه الدنيا.

وقد جمع الله عز وجل للخائف منه فضلاً عظيماً فقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾.

قال **القرطبي**: «المعنى خاف مقامه بين يدي ربه للحساب، فترك المعصية».

وقال **ابن كثير** رحمه الله: «أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل، وخاف حكم الله فيه، ونهى النفس عن هواها، وردها إلى طاعة مولاها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أي منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء».

وعن أنس رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط قال: «**لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً**» فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين[1].

والخوف أخي ـ المسلم ـ عبارة عن تألم القلب واحتراقه، بسبب توقع

---

(١) رواه البخاري(٤٦٢١) ومسلم (٢٣٥٩).

مكروه في المستقبل، ومن توقع مكروهاً في المستقبل سعى إلى الاستعداد له، والمثابرة على اجتيازه. والخوف الصادق من الله عز وجل هو ما يدفع المسلم إلى البعد عن المنكرات، والمسارعة إلى الخيرات.

ومن الخوف العظيم والوجل المستمر كان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني وفاروق هذه الأمة يسأل حذيفة: أنشدك الله: هل سماني رسول الله ﷺ. يعني في المنافقين؟ فيقول: لا، ولا أزكي بعدك أحداً.

أخي المسلم:

إن اتباع الهوى وطول الأمل مادة كل فساد، فإن اتباع الهوى يعمي عن الحق معرفة ومقصداً، وطول الأمل يُنسي الآخرة ويصد عن الاستعداد لها. وأثنى الله عز وجل على الخائفين بقوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾.

قال **الحسن**: ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة، لا يأكلون فيها أكلة، ولا يشربون فيها شربة، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً، واحترقت أجوافهم جوعاً، انصرف بهم ـ يقصد العصاة والمجرمين ـ إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها.

وقد فسر العلماء قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قالوا: كانوا يعملون ما يعملون من أعمال البر، وهم مشفقون ألا ينجيهم ذلك من عذاب الله عز وجل.

والخوف من الله: حصن من المهالك وحماية دون المنزلقات، والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك، بأن أورث مرضاً أو موتاً أو هماً لازماً، بحيث

يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل لم يكن محموداً.

أخي المسلم:

للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه للصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هَوَّنَ عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف، ولم يوفِّه حقه، شدد عليه ذلك الموقف، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلًا ٢٧﴾.

عن **إبراهيم التيمي** قال: لقد أدركت ستين من أصحاب عبدالله في مسجدنا هذا، أصغرهم الحارث بن سويد وسمعته يقرأ: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾ حتى بلغ ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧﴾ قال: فيبكي ثم يقول: إن هذا الإحصاء شديد.

أخي المسلم:

الناس منذ خلقوا لم يزالوا مسافرين وليس لهم حط عن رحالهم إلا في الجنة أو النار، والعاقل يعلم أن السفر مبني على المشقة وركوب الأخطار، ومن المحال عادة أن يُطلب فيه نعيم ولذة وراحة، إنما ذلك بعد انتهاء السفر، ومن المعلوم أن كل وطأة قدم، أو كل آن من آنات السفر غير واقفة، ولا المكلف واقف، وقد ثبت أنه مسافر على الحال التي يجب أن يكون المسافر عليها من تهيئة الزاد الموصل، وإذا نزل أو نام أو استراح فعلى قدم الاستعداد للسير.

يا مغروراً بالأماني: لُعن إبليس وأُهبط من منزل العز بترك سجدة واحدة أُمر بها، وأُخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها، وأمر بقتل الزاني أشنع القتلات بإيلاج قدر الأنملة فيما لا يحل، وأمر بإيساع الظهر سياطاً بكلمة

قـذف، أو بقطرة من مُسكر! وأبان ـ أي قطع ـ عضواً من أعضائك بثلاثة دراهم. فلا تأمنه أن يحبسك في النار بمعصية واحدة من معاصيه ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾ دخلت امرأة النار في هرة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب، وإن الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة، فإذا كان عند الموت جار في الوصية، فيختم له بسوء عمله فيدخل النار، العمر بآخره والعمل بخاتمته.

قال عبدالرحمن بن جابر **ليزيد بن مزيد**: مالي أرى عينك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى أن ينفعني به في الدنيا. قال: لو لم يتواعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حرياً أن لا تجف لي عين.

وقال **الحسن**: الرجاء والخوف مطيتا المؤمن.

فإذن لابد من الجمع بين هذه الأمور، وغلبة الخوف هو الأصلح، ولكن قبل الإشراف على الموت، أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن.

قال **ابن القيم**: القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزله الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان، فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر.

وقد أثنى الله عز وجل على من قرن الخوف بالرجاء في مواضع كثيرة من كتابه العزيز فقال تعالى في حق الأنبياء عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** قدس الله روحه: الخشية أبداً متضمنة للرجاء ولولا ذلك لكانت قنوطاً، كما أن الرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمناً، فأهل الخوف لله والرجاء له، هم أهل العلم الذين مدحهم الله.

وعندما شرب عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، ماء مبرداً بكى واشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً، شهوتهم الماء، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه.

وبكى **الحسن**: فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي.

وقال سعد بن الأخرم: كنت أمشي مع ابن مسعود، فمر بالحدادين وقد أخرجوا حديداً من النار، فقام ينظر إليه ويبكي.

أما عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد فقد ذُكر أنه كان يصلي ذات ليلة فقرأ ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ فجعل يرددها ويبكي حتى أصبح.

أما نبي هذه الأمة وخير البشرية ﷺ فقد قال عبدالله بن مسعود: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ علي**» فقلت يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» فقرأت سورة النساء حتى بلغت ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ قال: فرأيت عيني رسول الله تهملان»[(١)].

وعن مطرف بن عبدالله عن أبيه قال: «**أتيت النبي ﷺ وهو يُصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري: (٤٥٨٢).

(٢) رواه أحمد في المسند(٤/ ٢٥، ٢٦) والنسائي (٣/ ١٣) وصححه الألباني في مختصر الشمائل للترمذي (٢٧٦).

أخـي الحبـيب:

قال **ابن القيم** رحمه الله: وأكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف وغلب الحب، فالمحبة هي الركب، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه.

أخي المسلم:

أبشر وأمل فأنت تقصد باب رب كريم وجواد رحيم، واسمع قول **ابن عوف**: لو أن رجلاً انقطع إلى هؤلاء الملوك في الدنيا لانتفع، فكيف من ينقطع إلى من له السموات والأرض وما بينها وما تحت الثرى.

ولكن عليك ـ أخي المسلم ـ بالزهد في الدنيا، وقصر الأمل، فإن طول الأمل داء عضال، ومرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه، واشتد علاجه، ولم يفارقه داء، ولا نجع فيه دواء، وما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل.

فعليك ـ أخي الحبيب ـ باغتنام الأوقات، والمسارعة إلى الخيرات، واحرص على التوبة، وتذكر الموت وما بعده من سؤالٍ وجنةٍ ونار.

جعلني الله وإياك ووالدينا وأحبابنا من الآمنين يوم الفزع، وممن ينادون في ذلك اليوم العظيم ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدرس الرابع عشر:

حكم إتيان السحرة والكهان

الحمد لله الذي رفع راية التوحيد إلى يوم القيامة، والصلاة والسلام على إمام الموحدين وقائد المتوكلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فلما هُجر التوحيد علماً وتعلماً وإرشاداً وتذكيراً، ضعف الإيمان وكثرت الشركيات، ومع التوسع في أمور الحياة إعلاماً وسفراً واستقداماً، غشي كثير من الناس جوانب مخلة بالتوحيد، استشرت وانتشرت حتى عمَّت وطمَّت، ومن أبرزها وأوضحها إيتان السحرة والكهان، وزيارة المشعوذين والدجالين.

وقد ابُتلي الناس بكثير من الأخطاء الفادحة، ومن ذلك ضعف التوكل على الله عز وجل حين نزول البلاء، والغفلة عن الدعاء، وترك الحبل على الغارب للنساء، لمراجعة الأطباء الشعبيين بدون محرم، وأكثرهم من أهل الدجل والشعوذة.

وقد حذر الرسول ﷺ من إتيان السحرة فقال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر**...»[1]

وقال تعالى عن أمر السحرة: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

أخي المسلم:

نحن في عالم يموج بالفتن التي تجعل الحليم حيران، وكثير يدعي أنه لا يفرق بين الساحر أو الكاهن عن غيره، ولاشك أن هذا الأخ يعرف الكثير من

---

(١) رواه البخاري (٦٨٥٧) ومسلم (٨٩).

أمور الدنيا دقيقها وجليلها كبيرها وصغيرها، نعم عرف كل ذلك عن طريق السؤال والمتابعة والحرص، ولكنه أهمل أمر آخرته! وهو يتعذر بالجهل وعدم المعرفة.

وإلى كل أخ حبيب.. علامات ليميز بها الساحر والكاهن والمشعوذ، ليحذرهم ويبتعد عنهم بل ويخبر عنهم رجال الهيئة والأمن، حتى تسلم الأمة من شرهم.. **ومن تلك العلامات:**

١ ـ إذا سأل الشخص عن اسمه واسم أمه.

٢ ـ إذا طلب من الشخص أي لباس أو قطعة قماش.

٣ ـ القراءة غير المفهومة بكلمات مستغربة.

٤ ـ أن يعطي المريض أوراقاً يحرقها ويتبخر بها أو يعلقها أو يدفنها.

٥ ـ إذا أعطى المريض شيئاً يلبسه أو يعلقه وهو ما يسمى (بالحجاب).

٦ ـ أن يطلب منه ذبح أي حيوان أو طائر وتلطيخ مكان الألم بدمه، أو طلب ذبح حيوان بلون معين كالأسود مثلاً.

٧ ـ أن يطلب منه ذبح أي حيوان أو طائر من غير ذكر اسم الله عليه.

٨ ـ أن يكتب للمريض أوراقاً بها حروف أو أرقام أو أشكال مربعة أو مسدسة أو دائرية أو غيرها.

٩ ـ أن يخبر المريض باسمه، أو اسم بلده، أو مشكلته التي جاء من أجلها، أو بشيء من حياته الماضية أو نحو ذلك.

١٠ ـ أن يطلب شيئاً من شعر المريض أو أظفاره ونحو ذلك.

فمن وجدت فيه واحدة من هذه العلامات عُلم من حاله أنه صاحب شعوذة أو سحر أو استخدام شيطاني فيجب الحذر منه.

أخي المسلم:

الدنيا دار ابتلاء وامتحان تجري علينا مقادير الله عز وجل من أمراض

وأسقام، وهموم وغموم، ومصائب وأحزان، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾.

وهذه الأقدار إذا نزلت بالمرء وصبر واحتسب، فإن له الأجر العظيم، فقد بشرنا الرسول ﷺ بقوله: «**ما يصيب المسلم من وصبٍ ولا نصب، ولاهمٍّ ولا حزن ولا غم ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»[1].

ومن أصابه مرض أو ابتلاء فليطرق جادة الأدوية المشروعة فإن الله ما أنزل من داء إلا جعل له دواء، ومن أهم الأدوية وأعظمها نفعاً: الدعاء.

وعلى المسلم أن يُحسن الظن بربه عز وجل وأنه قريب يجيب دعوة الداعي، فليلحَّ في الدعاء والتضرع، ويرفع حاجته إلى من بيده أمر كل شيء، وليحرص على تحري أوقات الإجابة وليبتعد عن موانعها، وليوقن أن مع العسر يسراً، وأن الفرج قريب. ولابد ـ أخي المسلم ـ من الصبر في هذه الدنيا وترك الجزع والتسخط، بل ينبغي الرضا والاحتساب ودفع ما أنزل الله من أقدار الله بما أنزل من علاج ودواء.

أخـي المسـلم:

احذر الوقوع في السحر فقد عدَّ الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** ـ رحمه الله ـ من نواقض الإسلام: السِّـحْرَ فقال: السحر ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

قال **ابن القيم** رحمه الله: وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال، لأن الأرواح الخبيثة إنما تنشط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢) ومسلم (٢٥٧٣).

وقال رحمه الله: والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويدفعه أو يخفضه إذا نزل وهو سلاح المؤمن وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل منهما صاحبه.

أخي المسلم:

إن مما انتشر واستشرى أيضاً تعليق التمائم والحروز وقد أمر الرسول ﷺ بنزعها.

فعن عقبة بن عامر مرفوعاً: «**من علَّق تميمة فقد أشرك**»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»(٢).

فاحذر ـ أخي المسلم ـ أن تضع زوجك على يدها أو في رقبتها أو على صغيرها مثل هذه التمائم التي لا تجوز، واجعل قلبك معلقاً بالنافع الضار وهو الله عز وجل.

ومما شاع في هذه الأزمنة قراءة الفنجان والكف وادعاء معرفة المستقبل وهو غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ ومن ادَّعى علم الغيب كفر. وقد حذرنا الرسول ﷺ بقوله: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»(٣).

---

(١) رواه أحمد(٤/ ١٥٦) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع(٦٣٩٤).

(٢) رواه أحمد(١/ ٣٨١) وأبو داود(٣٨٨٣) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع(١٦٣٢).

(٣) رواه أحمد(٢/ ٤٢٩) والحاكم(١/ ٨) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع(٥٩٣٩).